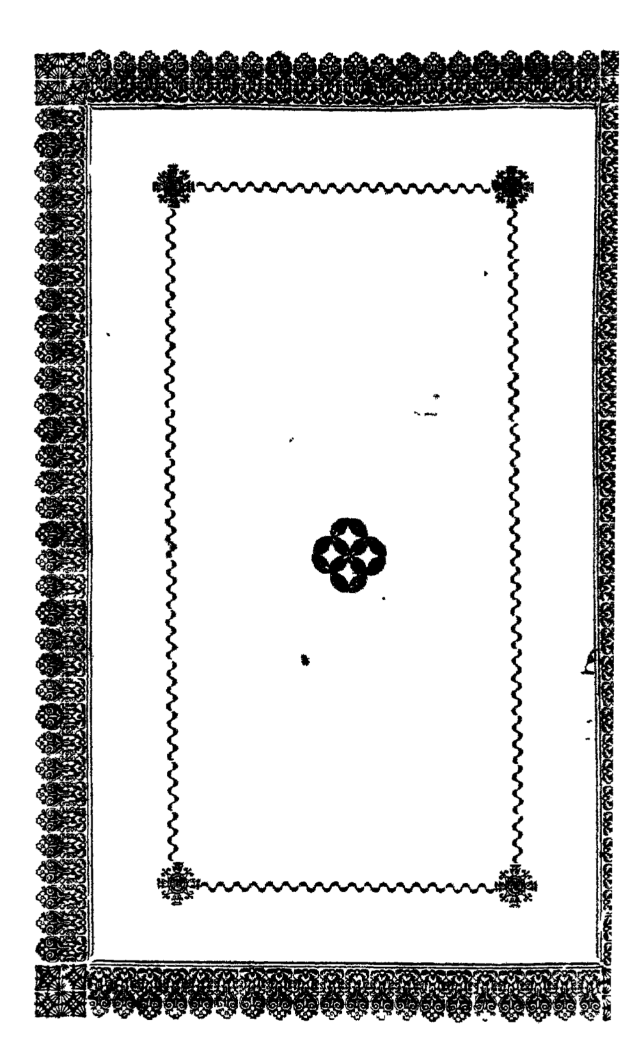
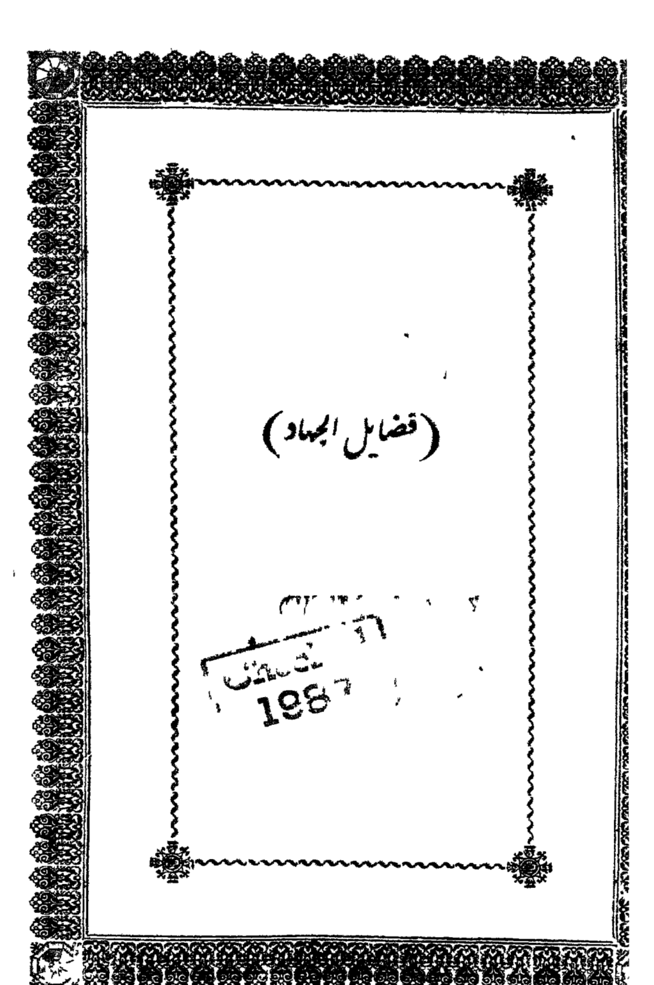



(فضایل الجهاد)
1987

(فهرسة فكاهة الاذواق من مشارع الاشواق في فضائل الجهاد)

صحيفة

الباب

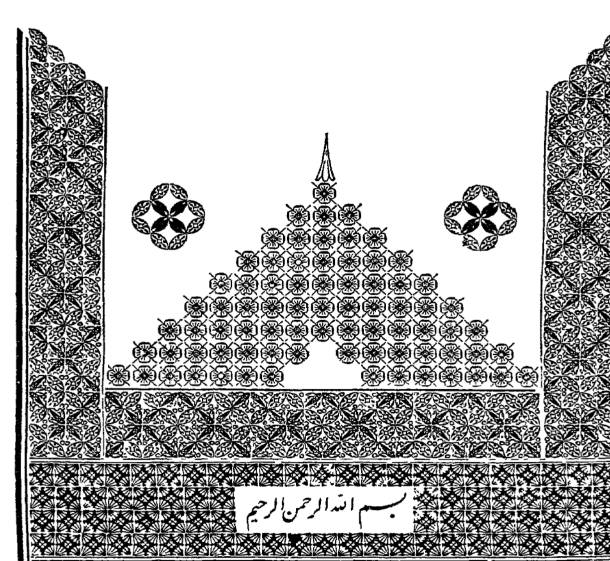
صحيفة

صحيفة

فكاهة الاذواق من مشارع الاشواق في فضل الجهاد

والترغيب فيه والحث عليه للفاضل الاديب
والنحرير الاريب الشيخ محمود العالم
خوجة الفنون الادبية ومصحح
التراجم بالمدارس
الحربية

م



(بعد حمد) من أرشد العباد الى طلب الشهادة بشريعة الجهاد والصلاة والسلام على من بعث بالسيف بين يدى الساعة وعلى آله وأصحابه الذين جردوا سيوف الامتثال وركبوا خيول الطاعة فيقول الفقير اليه تعالى محمود العالم خوجة الفنون الادبية ومصحح التراجم بالمدارس الحربية (أمرنى) ذو الهمة العلية والاخلاق المرضية حامل لواء الصولة الخديوية سعادة قاسم باشا ناظر الجهادية ان اشتغل باختصار وتهذيب كتاب مشارع الاشواق الى مصارع العشاق فى فضائل الجهاد فاستقبلت ماضى أمره بالامتثال ووقفت على قدم الاجتهاد وجمعت فيه بين الاليفين وأتيت فى ترتيبه أبوابا وجلا وتجريد زوائده وزيادة مارق من اللطائف وحلا بما تقربه العين فجاء بحمد الله مختصرا رشيقا ومصنفا انيقا يسر الناظر ويشرح الخاطر (وسميته) بفكاهة الاذواق من مشارع الاشواق (خدمة) لمن تباهت به مصر على سائر الامصار ورفل بيمنه القطر فى حلل المباهاة والفخار من بفيض سحائب أياديه يتلاشى فيضان النيل غيث النوال وغوث الاقبال أبى الفداء اسمعيل متعه الله باشباله الكرام وحرسهم بعين عنايته التى لا تنام ولا زالت سيوف سطوته مشهورة ورايات صولته على رؤس الانام منشورة آمين وقد رتبت هذا المختصر على اثنين وعشرين

باباً وخاتمة وتتمة جمعت في خلالها ما يلزم من كل مهمة فاسأل الله تعالى ان ينفع به وان يقبلنا ويرضى عنا بسببه وهذا أوان الشروع في المقصود بعناية الملك الحق والاله المعبود

(الباب الاول)

(في بيان وجوب الجهاد وشدة الوعيد لتاركه بذكر بعض أدلتهما)

(فمن أدلة وجوبه القرآنية) قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم (ومن ادلته السنية) قوله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى وماروى عن ابن الخصاصية رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابايعه على الاسلام فاشترط علىّ تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله قلت يارسول الله اما اثنتان فلا أطيقهما اما الزكاة فمالي الا عشر ذود هن رسل أهلي وحمولتهم واما الجهاد فتزعمون ان من ولى فقد باء بغضب من الله فاخاف ان حضرني قتال كرهت الموت وخشعت نفسي قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها ثم قال لا صدقة ولا جهاد فبم تدخل الجنة قال ثم قلت يارسول الله أبايعك فبايعني عليهن كلهن (ومن أدلة شدة الوعيد القرآنية) قوله تعالى الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شيء قدير (ومن أدلتها السنية) قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس من غزا غزوة في سبيل الله تعالى فقد أدى الى الله جميع طاعته الى أن قال قيل يارسول الله وبعد هذا الحديث الذي سمعناه منك من يدع الجهاد ومن يقعد قال من لعنه الله وغضب عليه وأعد له عذابا عظيما قوم يكونون في آخر الزمان لا يرون الجهاد وقد اتخذ ربي عنده عهدا لا يخلفه أيما عبد لقيه وهو يرى ذلك ان يعذبه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين وقوله صلى الله عليه وسلم ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله الا أذلهم الله الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق وقوله صلى الله عليه وسلم ما من أهل بيت لا يخرج منهم غاز او يجهزون غازيا أو يخلفونه في اهله الا اصابهم الله بقارعة قبل الموت * (وعظ للحريصين وايقاظ للغافلين) * أيها المعرض عن فريضة الجهاد المائل عن طريق التوفيق والسداد هل سبب احجامك عن القتال واقحامك معارك الابطال وبخلك في سبيل الله بالنفس والمال الاطول

قوله لابايعه اي اعاهده اه

قوله ذود بفتح الذال المعجمة وسكون الواو جماعة الابل من ثلاثة الى عشرة وقيل غير ذلك اه

قوله بقارعة اي داهية تفجؤهم اه

قوله احجامك اي تأخرك واقحامك اي نزولك اه

أمل وخوف هجوم اجل أو فراق ما تحب من أهل ومال وخدم وعيال وأخ شقيق وقريب وصديق وازدياد من صالح الاعمال وزوجة ذات حسن وجمال وجاه منيع ومنصب رفيع وقصر مشيد وظل مديد وملبس بهي وما كل هني ليس سوى هذا الك من الخير الجزيل بمانع ولا غيره عن الفضل الجليل لك بقاطع فأنصف من نفسك وتأمل في عدلك وامسك تجد هذا منك غير جميل وتدبر قوله عز شانه يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل (فاما) سكونك لطول الامل وخوف هجوم الاجل فاعلم ان الموت لابد من حلوله ولا محيد عن سلوك سبيله كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون وأن الاقدام لا ينقص عمر المقدمين والاحجام لا يزيد عمر المحجمين ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (واما) أهلك ومالك واطفالك وعيالك فهم لك والله محنة وبلية وفتنة ألم تسمع قول الحكيم العليم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ألم يتل عليك قوله المبين الذي لا يخفى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى (واما) فراق أخيك وقريبك وصديقك وحبيبك فكأنك بالقيامة وقد قامت على الخلق أجمعين والاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فان كانت الصداقة لله فستجمع بينكما عليون في نعيم أنتم فيه مخلدون وان كانت لغير الله فالفراق الفراق قبل ان تحشر الرفاق مع الرفاق (واما) منصبك وجاهك الرفيع وعزك وجنابك المنيع فبالله عليك كم فارق منصبك محباله حتى وصل اليك وزال ظله عن غيرك الى ان ظال عليك وعما قليل يبين عنك كما عنهم بان وكأنك بذلك وقد كان فحينئذ تكون بفراقه ثكلان وقلبك مغمور بالحسد وصدرك معمور بالاحزان (واما) فراق قصرك وظلالك وبنيانك المشيد وعلو محالك وحشمك فيه وخدمك وسرورك ونعمك فهل هو الا لبنة (١) من طين وحجر وتراب ومدر وحديد وخشب وجريد وقصب (٢) وهل حشمك فيه الا أجسام زائلة وهل سرورك به ونعمك الا احلام باطلة (واما) رغبتك في التأخر للازدياد من صالح الاعمال فهي مكيدة نفسانية باطنها الحرص على طول الآمال ودسيسة شيطانية مآلها الردى والوبال اليس كما في الحديث غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (واما) زوجتك وجمالها وقربها ووصالها فافرض انها أجمل النسوان وأحسن اهل الزمان فهل أولها الا نطفة مذرة (٣) وهل آخرها الا جيفة قذرة وهي فيما بينهما تحمل العذرة فراقك لها محتوم اما بالموت واما بالحياة وهذا أمر معلوم فان كانت من الصالحات ففراقها الآن

(١) قوله لبنة بفتح اللام ...سر الباء اى طوبة

(٢) قوله قصب اى ...س

(٣) قوله مذرة بفتح الميم ...سر الذال المعجمة اى ...يرة مستقذرة

خيرمما هوآت وان كانت من الصالحات فستجمع بينكما روضات الجنات وتتبدل قبائحها الرذيلة بالاوصاف الحسنة الجليلة فتجدها في الآخرة أحسن واجمل وأجل أوصافا واكمل (فكيف) بعد هذا كله تركن الى طول الامل بترك أسباب الشهادة وتضييع فرصة تنال بها من الله الحسنى وزيادة ألم تعلم ان هول المطلع (١) شديد وان عذاب القبر كديد وان فيه سؤال الملكين وانك لاتدرى لك أى المسلكين وانك بعد ماتقاسيه فيه اماسعيد فالى النعيم المقيم واماشقى فالى عذاب الجحيم والشهيد آمن من جميع ذلك لايخشى شيأ من هذه المهالك مجار فى قبره من العذاب ويفوز عندالله بحسن المآب محفوظ من فتنة السؤال ومابعد ذلك من الشدائد والاهوال حى عند ربه تجرى عليه فى الصباح والعشى الارزاق لاخوف عليه فى الآخرة ولايحزن يوم التلاق وقد قال صلى الله عليه وسلم لايجد الشهيد من ألم القتل الا كمس القرصة فتأمل وفقك الله القتل الكريم من الموت الاليم وانتهز هذه الفرصة (ام كيف) يثبطك (٢) عن الجهاد أهل عما قليل يكونون من الاموات وتمزقهم أيدى الشتات مع مايصدر منهم من النكد والعداوات والحقد على ما عرضت من حظوظهم منك للفوات وهجرانهم لك ان قل مالك وتحولهم عنك ان تغيرت حالك (أم كيف) يصدك مال هو فى معرض الزوال ان قل أكثر همك وعناك (٣) وان كثر اغناك واطغاك وان مت وتركته وراءك أرداك (٤) وبين يديك موقف الحساب وما أدراك تسئل عنه يوم القيامة من أين اكتسبته وفيم انفقته ويالهمن سؤال فى يوم تشيب فيه الاطفال وتعظم فيه الاهوال ويكثر فيه الزحام ويشتد الخصام يحاسب فيه الغنى على النقير والقطمير والخطير والحقير ويسبق الفقراء الاغنياء الى الجنة بخمسمائة عام فيأكلون ويشربون ويتمتعون فى دار السلام وأنت ايها الغنى محبوس عنهم بمالك تخشى ان يؤمر بك الى عذاب مالك وهب (٥) ان لك الدنيا أجمع أليس الى الفناء مصيرها ولابد من فراقك لها ولاينفعك غرورها ففى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى هريرة رضى الله تعالى عنه ألا اريك الدنيا جميعها بما فيها قلت بلى يارسول الله فاخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم قال ياأباهريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم ثم هى اليوم تساقط عظاما بلاجلد ثم هى صائرة رمادا رمدا وهذه العذرات ألوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها فى بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون (٦) عليها

(١) قوله المطلع بضم الميم وتشديد الطاء مفتوحة وهو يوم القيامة اه

(٢) قوله يثبطك اى يضعف همتك اه

(٣) قوله وعناك اى تعبك

(٤) قوله ارداك اى اهلكك اه

(٥) قوله وهب اى ظن وافرض اه

(٦) قوله ينتجعون اى يسافرون اه

اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال قابر حنا (١) حتى اشتد بكاؤنا (أم
كيف) يثبطك حنوك على ولدك الكريم حنو الاب الشفيق الرحيم تالله لله أرحم
به منك ومن أمه وخاله وعمه فمن رباه قبلكما بتدى رحمته فى ظلمات الاحشاء وقلبه
بيد لطفه ورأفته فى أرحام الامهات واصلاب الآباء فاين كانت شفقتك عليه وحنوك
وبعدك عنه ودنوك ان كان صغيرا فانت به مهموم او كبيرا فانت به مغموم ان أدبته
غضب وشرد أو نصحته حقد وحرد (٢) أو اقدمت جبنك أو سمحت بخلك تود
سروره بهمك وفرحه بغمك وربحه بخسرانك وزيادة ماله بخفة ميزانك يكلفك
مالا تطيق ويدخلك فى كل مضيق فدع أمره الى من خلقك وخلقه وكله بعدك الى من
رزقك ورزقه أتسلم الى الله تدبيره فى الملك والملكوت ولا تسلم اليه تدبير ولدك بعد
ان تموت فكيف يحملك على الرغبة عن دار النعيم والتقاعس عن جوار الرب الكريم
يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فان كان من
السعداء فستجمع بينكما الجنان أو من الاشقياء فليكن الفراق من الآن لا يجتمع
أهل الجنة مع اهل النار ولا الاخيار مع الاشرار يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه
وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (أم كيف) يؤخرك اخوتك
واقرباؤك واصدقاؤك واحباؤك مع ماتتوقع منهم فى الدنيا من الجفاء والصدوقلة
الوفاء والكدر وعدم الصفاء وهجرهم لك عند فوات الاغراض وما تجنه قلوبهم من
العلل والامراض صداقتهم مقرونة بالغنى وصحبتهم مشحونة بالعنا ان ظفرت منهم
باخى صفاء واين ذاك أو خل وفاء وما اراك فستكونون فى الجنان مجتمعين ونزعنا
ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين اليس لابد لك من فراقه وان تمتعت
دهرا بأخلاقه فتحرم ماتروم من الدرجات وتندم على ما فرطت وهيهات وفى الحديث
ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ان الله يقول لك عش ماشئت
فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزى به (أم كيف)
يعوقك منصبك وجاهك الرفيع وعزك وجنابك المنيع مع ماتعلم فى المنصب من
النصب وشر العاقبة وسوء المنقلب وكثرة الاعداء والحساد وتلاطم أمواج
بواطنهم بالضغائن والاحقاد وشماتتهم بك عند زواله وتلهفك على فوات اقباله
وانفضاض حشمك وخدامك واعراض من كان يسر بتقبيل اقدامك ألم تعلم ان
لآخر أهل الجنة دخولا مثل ملك أعظم ملك من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله فكيف
بمن سبق مع أنبياء الله وشهداء سبيله ورجاله ألم تعلم انه فى الجنة يأتى الملك الكريم

(١) قوله قابر حنا اى قلنا اه
(٢) قوله حرد اى غضب
قوله جبنك بتشديد اى حمل على الجبن

بمنشور من الرب العظيم فيه مكتوب من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى يموت
يا عبدى انى أقول للشئ كن فيكون وقد جعلتك تقول للشئ كن فيكون وان أدنى
أهل الجنة له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد
وياقوت كما بين الجابية (١) الى صنعاء كما وردت بذلك كله الاحاديث (أم كيف) يمنعك
قصر لذمع ظله وبنيانك فى علو محله مع انه ان لم يكنس كثرت فيه القمامة (٢) وان لم
يسرج فما أشد ظلامه وان لم يتعاهد فما أسرع انهدامه وان تعاهدته فما له الى
الخراب وعما قليل يصير كالتراب عن جنة قصورها عالية وأنوارها زاهية وانهارها
جارية وقطوفها دانية وافراحها متوالية ابنيتها فضة وذهب لا نصب فيها ولا تعب
ترابها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر انهارها من لبن وعسل وفيها الكوثر
قصرها اللؤلؤة مجوفة طوله سبعون ميلا فى الهواء أو زمردة خضراء باهية الاضواء
أو ياقوتة حمراء عالية البناء للمؤمن فى كل زاوية منها أهل وخدم لا يرون بعضا لاتساع
الارجاء أكلها دائم وفواكهها نضيجة ولا شئ منها بعادم لا قذر فيها كبصاق وبول
ويسقون فيها من رحيق ليس فيها غول (٣) خدمها ولدان مخلدون قد امتلأت
وجوههم بهجة ونورا اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما
وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم
شرابا طهورا سكانها احياء تظلهم من نعم الله افياء (٤) شبان بلا هرم اصحاء بلا سقم
(أم كيف) يؤخرك اهتمامك باصلاح العمل وازدياد الطاعات لجبر الخلل مع ما طرأ
على آذانك مما ذاع وملأ من طباق الارض البقاع مما حصل من أكابر الصحابة
والتابعين وكمل عقلاء المسلمين من الخوض فى معامع المعارك والوقوع فى مقاساة
الاهوال والمهالك فلو كان ما لاحظته فى تأخيرك قويا لما تدرّع وابدروع وفضل
الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ولو كان رأيك مستقيما أيها المغرور المفتون
لما سلكوا سبيل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون ألم تسمع بحديث ان قيام الرجل فى الصف فى سبيل الله أفضل
من عبادته فى اهله سبعين عاما الى غير ذلك مما سيرد عليك بيانه ان شاء الله تعالى
(أم كيف) تحملك الضنة (٥) بفراق زوجتك وجمالها وسرورك بقربها ووصالها
مع ان حيضها يمنعك شطر عمرها وعقوقها لك أكثر من برها ان لم تكتحل عمشت عينها
وان لم تتزين ظهر شينها وان لم تمتشط شعثت شعورها وان لم تدهن انطفأ نورها وان لم
تتطيب تفلت وان لم تتطهر نتنت ان كبرت أيست وان عجزت هرمت كثيرة العلل
سريعة الملل يحملك حبها على الكد والتعب والشقاء والنصب توردك الموارد

(١) قوله الجابية هى قرية من قرى دمشق وصنعاء مدينة باليمن اه

(٢) قوله القمامة اى الزبالة اه

(٣) قوله غول بفتح الغين اى سكر اه

(٤) قوله افياء اى ظلال اه

(٥) قوله الضنة بكسر الضاد وتشديد النون أى البخل اه

المهلكة وترضى بهلاكك فى أدنى هواها وما اوشكه (١) ان فاتت اغراضها أعرضت
عنك الى سواك وملتك وأظهرت قلاك تحسن اليها جهلك فتكرهك عند السخط
بشهادة حديث لو أحسنت الى احداهن الدهر ثم رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك
خيرا قط لا تمتع بها الا على عوج ولا تصحبك الا مع ضيق وحرج على التأخر (٢)
عن وصال من خلقت من النور ونشأت فى ظلال القصور حوراء عيناء جميلة
حسناء بكر عذراء كأنها الياقوت والمرجان لم يطمثها انس قبلك ولا جان منطقها
رخيم وقدها قويم وشعرها بهيم (٣) وقدرها عظيم أجفانها فاترة ومحاسنها باهرة
وجمالها زاهر ودلالها ظاهر طرفها كحيل وخدها أسيل وخلقها جليل وخلقها
جميل زاهية الحلى باهية الحلل كثيرة الود عديمة الملل طرفها مقصور عليك فلا ترى
سواك متحببة اليك بكل ما وافق هواك لو برز ظفرها الطمس بدر التمام أو سوارها
ليلا لم يبق فى الكون ظلام أو معصمها السبى الالباب أو ظهرت بين السماء والارض
لملأت ما بينهما نورا أو تفلت فى البحر الملح لعذب منه الشراب

يزيدك وجهها حسنا * اذا ما زدته نظرا

(وبالجملة) فلا يحسن بعاقل ذى لب وافكار ان يغتر بشئ من زخارف هذه الدار
فوالله ما هى بمقام ولا محل التمام ان اخصبت أجدبت وان جمعت فرقت وان
نقصت نغصت وان أغنت اعنت وان راقت أراقت وان ضاقت حاقت

دار متى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا تبا لها من دار

كثيرها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وخطيرها حقير غزيرة الآفات كثيرة
الحسرات قليلة الصفاء عديمة الوفاء تستر معايبها وتكتم مصايبها من خطبها وقع
فى حبالها وظهر له سوء حالها أبعد هذا الانذار انذار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار
(فاذا) اتعظ المتعظون قبل الهلاك وأطلقوا أنفسهم من أسر الشهوات قبل عسر
الانفكاك وظهر للوعظ تأثير ونفع السامع التحذير وجب علينا ان نتعرض
للشهادة وان كان نيلها مقسوما ونصرف العمر فى طلبها وان كان أحدنا منها محروما
بأن نظهر لاعداء الله زرافات (٤) ووحدانا ونغير عليهم فرسانا وركبانا ونخاطر معهم
بالنفوس والمهج ونركب قفر البر وثبج (٥) البحر المتلاطم الدرج ونقطع ظلمات البحر
الغزار بسفن كالدياجى مقلعة بالنهار ونغترب اليهم فى أغربة تطير بلا اجناح فى كل مطار
وذوات ارحل تسابق العناجيج (٦) والاطيار وننشر اعلام الاسلام على جوار
كالاعلام ونجرى فى البر بحرا بالعجاج عجاجا وبالسوابح الصواهل متلاطم أمواجا
الى ان تغص بسيول الخيول الوهاد والذرى وترض بنصول النصول المدائن والقرى

قوله اوشكه اى
قوله على التأخر
... بقوله تحملك
... اه
وله بهيم بفتح الباء
ر الهاء اى اسود
قوله زرافات اى
ت اه
قوله ثبج بفتح الثاء
اى ظهر البحر اه
وله العناجيج اى
اد من الخيل اه

ويبيت كل منا والمشرفي ١ له ضجيع ويصبح وحر الوطيس ٢ له غيث مريع ويجتهد في خلاص كل أسير واقتناص كل خطير ويتطهر باراقة دماء الاعداء والاشرار من ارجاس الذنوب وانجاس الاوزار وان يلتحف رداء الصبر عند اصطفاف الجحافل والتفاف النابل بالرامح والرامح بالنابل وتراشق الرماة وتضايق الكماة واتلاف كعاب الرماح ومصافحة أكف الصفاح والتقاط عقاب المنية حب الارواح ولمعان البيض البواتر في ظلمات نقع كالدياجر وجريان بحر الدم الزاخر بالخناجر من الخناجر (هنالك) فتحت من الجنة أبوابها وبرزت الحور العين ٣ عربها وأترابها وقام للجلاد خطابها فضربوا بالمشرفية فوق الاعناق واستعذبوا من المنية مر المذاق وباعوا الحياة الفانية بالعيش الباق فوردوا بالشهادة منهلا لم يظمؤا بعده أبدا وربحت تجارتهم فكانوا أسعد السعدا فاليك اللهم غدا أكف الامل والرجاء ان تجعلنا من شهداء الهيجاء ٤ وان تحشرنا في زمرتهم عند قيام الساعة وان تجعل تجارتنا خير تجارة وبضاعتنا أتم بضاعة آمين

١ (قوله والمشرفي) أي السيف اه

٢ (قوله حر الوطيس) المقصود شدة الحرب اه

٣ (قوله عربها بضمتين) جمع عروب وهي المرأة التي تحب زوجها والاتراب الامثال اه

٤ (قوله الهيجاء) اي الحرب اه

(الباب الثاني)

* (في فضل الجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى) *

قال الله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما وقال تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم وقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أسقي الحاج وقال آخر لا أبالي ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في

سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أى الاعمال افضل واحب الى الله عز وجل عملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى آخرها فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا قال يارسول الله دلنى على عمل يعدل ٢ الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فاقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله تعالى من قاتل فى سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة ٣ فاذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العزلة مع اجتهاده فى الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل ارشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ما جهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدرى فقال أعدها على يارسول الله فاعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هى يارسول الله قال الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت فى مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل عتيقة بن الحرث الانصارى فسلم ثم جلس ثم قال يارسول الله شهدتك يوم بدر وأنت تحرض الناس على الجهاد فلم استطع ان أسألك وأنا سائلك ففهمني يا رسول الله قال سل عما بدا لك يا عتيقة قال يارسول الله ما لمن تقلد سيفا فى سبيل الله تعالى قال يقلده الله وشاحا من أوشحة الجنة من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد قال يارسول الله ما لمن اعتقل رمحا فى سبيل الله تعالى قال يكون له به علم يعرف به يوم القيامة قال فما لمن تقلد قوسا فى سبيل الله تعالى قال يكون له رداء أخضر من أردية الجنة يوم القيامة قال فمن رمى بسهم

(٢ يعدل الجهاد) أى [يساو]يه فى الثواب اه

(٣ فواق ناقة) بضم [الفاء] وفتح الواو مخففة [هى] المسافة التى بين [الحلب]تين وهى اقل من [ساع]ة اه

فى سبيل الله قال بخ بخ ٢ يا عتبة لقد سألت عن خير كثير ان الله ليدخل بالسهم الواحد
ثلاثة الجنة صانعه والمقوى ٣ به والرامى به فى سبيل الله تعالى يا عتبة بن الحرث من رمى
بسهم فى سبيل الله تعالى بلغ العدو أو قصر عدل له عتق رقبة قال يا رسول الله فالمن
لبس درعا فى سبيل الله تعالى قال يكون له جنة من النار قال فالمن تعضد ترسا فى سبيل
الله تعالى قال يكون له سترا من حر شمس الارض وقد دنت من الناس بقدر ميل وقد زيد
فى حرها ثمانية عشر جزأ و رهق الناس العرق على قدر أعمالهم الى ان قال يا رسول الله
فالمن ركب فرسا فى سبيل الله تعالى اما نا لمن خلفه وهيبة لمن بين يديه قال بخ بخ يا عتبة
ابن الحرث من ارتبط فرسا فى سبيل الله تعالى هيبة لمن بين يديه وامانا لمن خلفه تلقته
خزنة الجنة بخيل خضر مسرجة لم تلقحها الفحول ولم تحملها البطون ولم تربين
بالضروع خلقهن الله يوم خلق الجنة ألوانها من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد يا كان من
ثمارها ويشربن من أنهارها لا يبلين ولا يرثن ولا يعيين ولا يهرمن يقلن يا ابن آدم ركبت
فى الدنيا فرسا تموت فدونك ما لا يموت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ثلة ٤
تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا واطاعوا وان
كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره وان الله تعالى
يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا
فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب وتأتى
الملائكة فيقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك فمن هؤلاء الذين آثرتهم
علينا فيقول هؤلاء الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى فتدخل عليهم الملائكة من كل
باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال سليمان بن ابان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خرج الى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه ان يخرجا جميعا فذكرا ذلك للنبى
صلى الله عليه وسلم فامرهما ان يخرج أحدهما فاستهما ٦ فخرج سهم سعد فقال أبوه
آثرنى بها يا بنى فقال يا أبت انها الجنة لو كان غيرها آثرتك به فخرج سعد مع النبى صلى الله
عليه وسلم فقتل يوم بدر ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد وعن سعيد بن أبى هلال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك الدرجات العلا من الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الداعى فقال ها أنا ذا يا رسول الله قال أتدرى لمن
هى قال لا قال هى للغادين الرائحين فى سبيل الله وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلما ازداد الغازى فى سبيل الله تعالى من أهله بعدا ازداد
من الله قربا ومن هذا القبيل ما حكاه حدير الاسلمى قال خرج بعث الصائفة فاكتتب فيه
كعب فخرج البعث قال فخرج فى البعث وهو مريض فقال لأن اموت بحرستا ٩ أحب

٢ (قوله بخ بخ) هى كلمة تقال عند استعظام الشئ اه
٣ (قوله والمقوى) هو والمنبل معناهما من يناول النبل للرامى اه
٤ (قوله ثلة) اى جماعة اه
٦ (قوله فاستهما) اى ضربا القرعة اه
٩ (قوله حرستا) بفتح الحاء والراء وسكون السين قرية قريبة من دمشق اه

الى من ان أموت بدمشق ولأن اموت بدومة ١ احب الى من ان أموت بحرستا هكذا قدما فى سبيل الله عز وجل قال فمضى حتى اذا كان بحمص توفى بها فدفناه هنالك بين زيتونات أرض حمص ومضى البعث فلم يقفل حتى قتل عثمان رضى الله عنه ومنه ما روى عن عبد الله بن محيريز عن أبيه انه كان فى بعث الصائفة فمرض مرضا شديدا فقال يا بنى احملنى فسر بى الى أرض الروم قال فحملته فلم أزل أسير به وهو يقول يا بنى أسرع فى السير قلت يا أبت انك شاك ٢ قال يا بنى انى أحب ان يكون أجلى بارض الروم فمازلت اسير به حتى هلك بارض حمص وفى رواية قال فلما مات همنى من يصلى عليه فرأيت على جنازته صفوفا لا أعرفهم

(فصل فى ذكر بعض ما يتعلق بعناية الله عز وجل بالمجاهدين واعانتهم بلطفه وبره)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا اذى المجاهدين فان الله يغضب للمجاهدين كما يغضب للانبياء والرسل ويستجيب لهم كما يستجيب للانبياء والرسل ولا طلعت شمس ولا غربت على أحد أكرم على الله من مجاهد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد فى سبيل الله والمكاتب الذى يريد الاداء والناكح الذى يريد العفاف وقال صلى الله عليه وسلم من حج او اعتمر فمات من سنته دخل الجنة ومن صام رمضان ثم مات دخل الجنة ومن غزا فمات من سنته دخل الجنة ومن ضمان الله ان لا يترك من خرج مجاهدا فى سبيله بدار مضيعة ولا هوان بل يتولاه بلطفه ويدفع اضراره عما يسوقه اليه بفضله ويستجيب دعاءه برحمته وروى بعض الاكابر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نتلقى عيرا لقريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة فقال قلت كيف كنتم تصنعون بها قال نمصها كما يمص الصبى ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ٣ ثم نبله بالماء فنأكله قال فانطلقنا على ساحل البحر فوقع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا هى دابة تدعى العنبر قال قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا قال فاقمنا عليها شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا قال ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقتطع منه القدر كالثور او كقدر الثور فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فاقعدهم فى وقب عينه وأخذ ضلعا من اضلاعه فاقامها ثم رحل اعظم بعير معنا فمر من تحته وتزودنا من لحمه وشائق ٤ فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق الله أخرجه لكم فهل معكم من لحمه شئ فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكله

(بدومة) قرية أبعد ... رستا بقليل اه

(شاك) بتخفيف ... أى مريض اه

(الخبط) بفتح الخاء ... الشجر اه

(وشائق) أى لحوما ... ة اه

وحكى ابو الجماهير عن أبيه قال أصاب الناس بارمينية جهد شديد حتى أكلوا البعر فامطروا بنادق فيها حب قمح وقال عبد الله بن أبي جعفر غزونا القسطنطينية فكسر بنا مركبنا فألقانا الموج على حشفة ١ في البحر وكنا خمسة اوستة فانبت الله لنا بعددنا ورقة لكل رجل منا فكنا نمصها فتشبعنا وترو ينا فاذا أمسينا انبت الله لنا مكانها حتى مر بنا مركب فحملنا وقال ابو سبرة النخعي أقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق ٢ حماره فتوضأ وصلى ركعتين ثم قال اللهم اني جئت من الدثينة ٣ مجاهدا في سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد بانك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لاتجعل لاحد على اليوم منة اطلب اليك ان تبعث لي حماري قال فقام الحمار ينفض أذنيه وذكر البيهقي ان الرجل نباتة بن يزيد وانه خرج في زمن عمر رضي الله عنه وانه باع الحمار بعد بالكناسة فقيل له تبيع حمارا أحياه الله لك قال فكيف اصنع وعن ابن أبي عبد اليسري عن أبيه انه غزا سنة من السنين فخرج في السرية فمات المهر الذي كان تحته وهو في السرية فقال يارب اعرناه حتى نرجع الى يسرى ٤ فاذا المهر قائم فلما غزا ورجع الى يسرى قال يابني خذ السرج عن المهر فقلت انه عرق فان أخذت السرج داخله الريح فقال يابني انه عارية فلما أخذت السرج وقع المهر ميتا وحكى انه خرج قوم غزاة ومعهم محمد بن المنكدر وكانت صائفة فبينماهم يسيرون في الساقة قال رجل من القوم اشتهي جبنا رطبا فقال محمد بن المنكدر استطعموا الله يطعمكم فانه القادر فدعا القوم فلم يسيروا الا قليلا حتى وجدوا مكتلا ٦ مخيطا كانما أتى به من السمالة اوالروحاء فاذا هي جبن رطب فقال بعض القوم لو كان عسلا فقال محمد ان الذي أطعمكم ههنا جبنا قادر على ان يطعمكم عسلا فاستطعموه فدعا القوم فساروا قليلا فوجدوا قاقزة ٧ عسل على الطريق فنزلوا فاكلوا الجبن والعسل وركبوا وروى السلطان نور الدين محمود المشهور بالشهيد باسناده عن أبي يعقوب المصيصي قال غزونا بلاد الروم فقال لنا الدليل ههنا وادمن عسل فعدلنا اليه وانزلنا رجلا يغرف لنا بالاسطال فخرج علينا الروم فتشاغلنا بهم ونسينا الرجل فغبنا عن الموضع فلما كان بعد سنة غزونا فجئنا الى ذلك الوادي فاذا الرجل حي قال فقلنا له ايش خبرك قال كنت اعطش فاشرب العسل واجوع فآكل العسل فرأيناه كانه البلور اذا طعم شيأ رأيناه في جوفه من صفاء جلده * وناهيك باعانة الله الزبير في قضاء دينه الهائل مع قلة ماله نعن ابنه عبد الله رضي الله عنهما قال لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت الى جنبه فقال يابني لا يقتل اليوم الا ظالم أومظلوم واني لا ارى الا اني سأقتل اليوم مظلوما وان من أكبر همي لديني افترى ديننا يبقي من مالنا شيأ وقال يابني بع مالنا واقض ديني فان فضل

١ (قوله على حشفة) بفتح الحاء المهملة والشين اى جزيرة اه

٢ (قوله نفق) بفتح النون والفاء اى مات اه

٣ (قوله الدثينة) اسم قرية اه

٤ (قوله يسرى) بفتحات قرية اه

٦ (قوله مكتلا) بكسر الميم وسكون الكاف وفتح التاء اى زنبيلا اه

٧ (قوله قاقزة) بقافين بعدهما زاى هي المعروفة بالجدانة اه

من مال الناشئ بعد قضاء الدين فثلثه لولدك قال فجعل يوصيني بدينه ويقول يا بني ان عجزت عن شئ منه فاستعن عليه مولاى قال فوالله مادريت ما اراد حتى قلت يا ابت من مولاك قال الله قال فوالله ماوقعت في كربة من دينه الا قلت يامولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه فقتل الزبير ولم يدع دينارا ولا درهما الا ارضين منهما الغابة واحدى عشرة دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر قال وانما كان دينه الذي عليه ان الرجل كان يأتيه بالمال ليستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فاني أخشى عليه الضيعة وماولى امارة قط ولا جباية خراج ولا شيأ الا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان قال عبد الله بن الزبير فحسبت ماعليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف فلقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال يا ابن أخي كم على أخي من الدين قال فكتمته وقلت مائة ألف فقال حكيم والله ما أرى اموالكم تسع هذه فقال له عبد الله افرايتك ان كان ألفي الف ومائتي الف قال ما اراكم تطيقون هذا وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة الف فباعها عبد الله بالف ألف وستمائة الف ثم قام فقال من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فذكر القصة قال فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا اقسم بينكم حتى انادي بالموسم اربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى اربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير اربع نسوة ورفع الثلث فاصابت كل امرأة الف الف ومائتي الف فجميع ماله خمسون الف الف ومائتا الف والله اعلم اه واقول اذا اصابت كل امرأة الف الف ومائتي الف كان مجموع مااصاب الاربع اربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وهو ثمن مايقسم على الورثة فيكون مجموع مايقسم ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة الف يضم اليها نصفها الموصى به وهو تسعة عشر ألف ألف ومائتا الف فيكون مجموع التركة بعد قضاء الدين سبعة وخمسين ألف ألف وستمائة ألف هكذا ينبغي تحرير الحساب والله الهادي الى الصواب

(الباب الثالث)

(في فضل التحريض على الجهاد في سبيل الله تعالى)

قال الله تعالى وحرض المؤمنين وقال تعالى يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة سرا والناس في شدة الحساب من أمر بالجهاد وحض عليه وعن علي رضي الله عنه قال من حرض أخاه على الجهاد كان له

مثل

(حكاية أم ابراهيم الهاشمية وولدها مع عبدالواحد الواعظ)

مثل أجره وكان له في كل خطوة في ذلك عبادة سنة واقد درج على التأسي به صلى الله عليه وسلم في ذلك السلف الصالح فمن ذلك ما حكي انه كان بالبصرة نساء عابدات وكان منهن أم ابراهيم الهاشمية فأغار العدو على ثغر من ثغور الاسلام فانتدب الناس للجهاد فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيبا يحضهم على الجهاد وكانت أم ابراهيم هذه حاضرة مجلسه وتمادى عبد الواحد على كلامه ثم وصف الحور العين وذكر ما قيل فيهن وانشد في وصف حوراء

غادة ذات دلال ومرح * يجد الناعت فيها ما اقترح
خلقت من كل شئ حسن * طيب فالليث فيها مطرح
زانها الله بوجه جمعت * فيه أوصاف غريبات الملح
وبعين كحلها من غنجها * وبخد مسكه فيه رشح
ناعم يجري على صفحته * نضرة الملك ولألاء الفرح
أترى خاطبها يسمعها * اذ تدير الكاس طورا والقدح
في رياض مونق نرجسها * كلما هبت له الريح نفح
وهي تدعوه بود صادق * ملئ القلب به حتى طفح
ياحبيبا لست أهوى غيره * بالخوا تيم يتم المفتتح
لا تكونن كمن جد الى * منتهى حاجته ثم جمح
لا فما يخطب مثلي من سها * انما يخطب مثلي من الح

قال فماج الناس بعضهم في بعض واضطرب المجلس فوثبت أم ابراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد يا ابا عبيد ألست تعرف ولدي ابراهيم ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم وأنا اضن به عليهم فقد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا ارضاها عروسا لولدي فكرر ماذكرت من حسنها وجمالها فاخذ عبد الواحد في وصف حوراء ثم انشد

تولد نور النور من نور وجهها * فمازج طيب الطيب من خالص العطر
فلو وطئت بالنعل منها على الحصى * لأعشبت الاقطار من غير ما قطر
ولو شئت عقد الخصر منها عقدته * كغصن من الريحان ذي ورق خضر
ولو تفلت في البحر شهد رضابها * لطاب لاهل البر شرب من البحر
يكاد اختلاس اللحظ يجرح خدها * بجارح وهم القلب من خارج الستر

فاضطرب الناس اكثر فوثبت أم ابراهيم وقالت لعبد الواحد يا أبا عبيد قد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا ارضاها عروسا لولدي فهل لك ان تزوجه منها هذه الساعة وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار ويخرج معك في هذه الغزوة فلعل الله يرزقه

الشهادة فيكون شفيعا لى ولابيه فى القيامة فقال لها عبد الواحد لئن فعلت لتفوزن انت وولدك وابو ولدك فوزا عظيما ثم نادت ولدها يا ابراهيم فوثب من وسط الناس وقال لها لبيك يا اماه قالت أى بنى ارضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك فى سبيله وترك العود فى الذنوب فقال الفتى اى والله يا اماه رضيت أى رضا فقالت اللهم انى أشهدك انى زوجت ولدى هذا من هذه الجارية ببذل مهجته فى سبيلك وترك العود فى الذنوب فتقبله منى يا ارحم الراحمين قال ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار وقالت يا ابا عبيد هذا مهر الجارية تجهز به وجهز الغزاة فى سبيل الله تعالى وانصرفت فابتاعت لولدها فرسا جيدا واستجادت له سلاحا فلما خرج عبد الواحد خرج ابراهيم يعدو والقراء حوله يقرؤن ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال فلما ارادت فراق ولدها دفعت اليه كفنا وحنوطا وقالت له يا بنى اذا اردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط واياك ان يراك الله مقصرا فى سبيله ثم ضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وقالت له يا بنى لاجمع الله بينى وبينك الا بين يديه فى عرصات القيامة قال عبد الواحد فلما بلغنا بلاد العدو ونودى فى النفير وبرز الناس للقتال برز ابراهيم فى المقدمة فقتل من العدو خلقا كثيرا ثم اجتمعوا عليه فقتل قال عبد الواحد فلما اردنا الرجوع الى البصرة قلت لاصحابى لاتخبروا ام ابراهيم بخبر ولدها حتى القاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب اجرها قال فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقونا وخرجت أم ابراهيم فيمن خرج قال عبد الواحد فلما نظرت الى قالت يا ابا عبيد هل قبلت منى هديتى فاهنى ام ردت على فاعزى فقلت لها قد قبلت هديتك ان ابراهيم حى مع الاحياء يرزق قال فخرت ساجدة لله شكرا وقالت الحمد لله الذى لم يخيب ظنى وتقبل نسكى منى وانصرفت فلما كان من الغد اتت الى مسجد عبد الواحد فنادت السلام عليك يا أبا عبيد بشراك فقال لازالت مبشرة بالخير فقالت له رايت البارحة ولدى ابراهيم فى روضة حسناء وعليه قبة خضراء وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج واكليل وهو يقول يا اماه ابشرى فقد قبل المهر وزفت العروس

﴿الباب الرابع﴾

(فى فضل السبق الى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفضل المشى فيه والغبار فى سبيل الله تعالى)

قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض وقال تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم وقال ابو هريرة رضى

الله عنه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرية تخرج فقالوا يارسول الله نخرج الليلة او نمكث حتى نصلى الصبح فقال ألا تحبون ان تبيتوا فى خراف الجنة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجمع الله عز وجل فى جوف عبد غبارا فى سبيل الله تعالى ودخان جهنم ومن اغبرت قدماه فى سبيل الله باعد الله منه النار يوم القيامة مسيرة الف عام للراكب المستعجل ومن جرح جراحة فى سبيل الله تعالى ختم له بخاتم الشهداء له نور يوم القيامة لونها مثل لون الزعفران وريحها مثل المسك يعرفه بها الاولون والآخرون يقولون فلان عليه طابع الشهداء ومن قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (وقال) أبو الصبح المقرى بينما نحن نسير بارض الروم فى طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمى اذ مر مالك بجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وهو يمشى يقود بغلا له فقال له مالك أى اباعبد الله اركب فقد حملك الله فقال جابر أصلح دابتى وأستغنى عن قومى وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله تعالى حرمه الله على النار فسار حتى اذا كان حيث يسمعه الصوت نادى بأعلى صوته يا أبا عبد الله اركب فقد حملك الله فعرف جابر الذى يريد فقال أصلح دابتى واستغنى عن قومى وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار فتواثب الناس من دوابهم فما رأيت يوما أكثر ماشيا منه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى عن دابته فى سفره عقبة كان له عتق رقبة (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير وكان ابو لبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فكان اذا كان عقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا يارسول الله نحن نمشى عنك فيقول ما أنتما باقوى منى وما أنا باغنى عن الاجر منكما (وعن القاسم بن محمد) قال اصبح سالم بن عبد الله ذات يوم فقال لاهله جهزونى فانى لا ابيت فيها الليلة قالوا اولو كنت تقدمت الينا فى هذا فقال انى رأيت الليلة فيما يرى النائم كانى انتهيت الى باب السماء فقرعت الباب فقيل من ذا فقلت سالم بن عبد الله فقيل كيف يفتح لرجل لم تغبر قدماه فى سبيل الله تعالى ليلا ولا نهارا ويقال ان اباه رأى مثل ذلك (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلثموا من الغبار فى سبيل الله فان الغبار فى سبيل الله قتار مسك الجنة

قوله فى خراف الجنة اى بساتينها اهـ

قوله قتار بضم القاف وتخفيف التاء أى ريح البخور اهـ

(الباب الخامس)

(فى فضل غزو البحر على غزو البر وفضل النظر الى البحر والتكبير فى سبيل الله تعالى)

اعلم وفقك الله تعالى ان الغزو البحرعلى غزو البر فضائل كثيرة (منها) ما فى قوله صلى الله عليه وسلم حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج وغزوة فى البحر خير من عشر غزوات فى البر (ومنها) ما فى قوله صلى الله عليه وسلم من فاته الغزو معى فليغز فى البحر (ومنها) ما فى قوله صلى الله عليه وسلم فضل غازى البحر على غازى البر كفضل غازى البر على القاعد فى أهله وماله (ومنها) ما فى قوله صلى الله عليه وسلم شهيد البحر مثل شهيدى البر والمائد فى البحر كالمتشحط فى دمه فى البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا فى طاعة الله تعالى وان الله تعالى وكل ملك الموت بقبض الارواح الا شهيد البحر فانه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين ويغفر لشهيد البحر الذنوب كلها والدين (ومنها) ما فى قوله صلى الله عليه وسلم شهيد البحر لا يألم السلاح الا كشربة عسل بماء بارد على الظما وشهيد البر لا يالم السلاح الا كعضة نملة (ومنها) ما فيما روى عن كعب من قوله ويوم فى البحر خير من شهر فى البر وشهر فى البحر خير من سنة فى البر (ومنها) ما فى قول كعب ايضا ان شهيد البحر يأتى يوم القيامة فى نهر من نور أبيض رافعين شراعهم من در وهم فى سفائنهم حتى اذا وافوا الجمع ظهر للناس حسنهم وقيل للناس هؤلاء جنود الله فى أرضه كالملائكة فى السماء واخذهم من النور والبهاء والجمال ما لو ظهر فى الارض لطمس نور وجوههم نور الشمس والقمر ولا يراه نبى مرسل ولا ملك مقرب الا عجب من حسنه وكان فى الشهداء مثل جبريل وميكائيل واسرافيل فى الملائكة ويقولون هؤلاء خدمة غزاة البحر لكل امرئ منهم كفلان من أجر على ما يعطى اصحابه *(لطيفة)* لم يقع فى زمنه صلى الله عليه وسلم غزو فى البحر وأخبر صلى الله عليه وسلم عن وقوعه معجزة فيما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على ام حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت ام حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يارسول الله قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله تعالى يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة قالت فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يارسول الله قال ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله كما قال أولا قالت فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال أنت من الاولين فركبت ام حرام البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت (فالمرة الاولى التى فى الحديث) ما وقع من معاوية فى خلافة عثمان رضى الله عنهما وهو انه غزى عبادة بن

المائد أى الذى ... اه

الصامت

الصامت رضى الله عنه قبرس فخرجت معه زوجته ام حرام فلما خرجت من البحر قربت لها بغلة لتركبها فصرعتها فاندقت عنقها قال بعضهم فاهل قبرس يستسقون بقبرها رضى الله عنها (والمرة الثانية) ما وقع فى خلافة سليمان بن عبد الملك حيث جهز الى القسطنطينية الجيوش فوجه اليها أهل الشام والجزيرة فى نحو من عشرين ومائة ألف برا وأهل مصر والمغرب فى ألف مركب بحرا وعلى هؤلاء عمرو بن هبيرة وامير الكل مسلمة بن عبد الملك فنزل بفنائها وحاصرها ثلاثين شهرا حتى أكل العسكر الميتة والعذرة من الجوع مع أن فى وسط معسكرهم عرمة حنطة يغيظون بها الروم وقال ابن زياد الالهانى غزوناها فجعنا حتى هلك ناس كثير وكان أحدنا يخرج ليقضى حاجته فاذا قام اقبل آخر على رجيعه فأكله ويذهب آخر لحاجته فيؤخذ ويذبح ويؤكل وان الاهراء من الطعام كالهلال لا نتعاطى منها شيأ وانما نكايد بها أهل القسطنطينية فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أذن لنا فى الرحيل عنها * (وأما فضل النظر الى البحر) * فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس على البحر احتسابا ونية احتياطا للمسلمين كتب الله تعالى له بكل نظرة وفى بعض النسخ بكل قطرة حسنة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناظر فى البحر فى سبيل الله يكون له مد بصره نور يستضىء به كما بين صنعاء والجابية (وعن ابن المنذر) قال لما فرض لى عمر بن عبد العزيز فى جبلة قال يا فتى انى احدثك بحديث كان عندنا من المخزون اذا توضأت عند البحر فالتفت اليه وقل يا واسع المغفرة اغفر لى فانه لا يرتد اليك طرفك حتى يغفر الله ذنوبك * (وأما فضل التكبير فى سبيل الله عز وجل) * فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اصوات يباهى الله عز وجل بهن الملائكة الاذان والتكبير فى سبيل الله تعالى ورفع الصوت بالتلبية (وقال) صلى الله عليه وسلم من كبر تكبيرة فى سبيل الله رافعا بها صوته كان له بها صخرة فى ميزانه يوم القيامة اثقل من السموات السبع والارضين السبع وما بينهن وما فوقهن وما تحتهن (وقال أبو هريرة) رضى الله عنه من كبر تكبيرة فى سبيل الله تعالى رافعا صوته كتب الله تعالى له مائة ألف حسنة (وحكى) ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقبر يعذب صاحبه عذابا شديدا فرق له فبينما هو كذلك اذ نزلت عليه الرحمة وملئ قبره نورا فناداه عيسى عليه السلام يا صاحب القبر احى باذن الله تعالى فحيى فسأله عما رأى فقال انى لى أخاف الله تعالى كبر على تكبيرة وهو مرابط فى سبيل الله عز وجل فغفر الله تعالى لى بذلك وأنقذنى من العذاب (وعن أبى قلابة) قال كان لى ابن اخ يتعاطى الشراب فرض فبعث الى ليلا أن الحق بى فأتيته فرأيت ملكين اسودين قد دنيا من ابن اخى فقلت انا لله هلك ابن أخى فاطلع ملكان ابيضان من الكوة التى فى البيت فقال أحدهما

اصاحبه انزل اليه فلما نزل اليه تنحى الاسود ان فجاء فشم فاه فقال ما أرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ما أرى فيه صوما ثم شم رجليه فقال ما أرى فيه صلاة ثم عاد فاخرج طرف لسانه فشمه فقال الله أكبر أراه كبر تكبيرة فى سبيل الله تعالى يريد بها وجه الله تعالى باتا كية قال ثم فاضت نفسه وشممت فى البيت رائحة المسك فلما صليت الغداة قلت لاهل المسجد هل لكم فى رجل من أهل الجنة وحدثتهم حديث ابن اخى فلما بلغت ذكرا تا كية قالوا اليست باتا كية انما هى انطا كية قلت لا والله لا اسميها الا كما سماها الملك * (فائدة) * فى الحديث أمان أمتى من الغرق اذا ركبوا البحر أن يقولوا بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

(الباب السادس)

* (فى فضل النفقة فى سبيل الله تعالى) *

قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (وقال) ابن عمر لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتى فنزل من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد أمتى فنزل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب (وعن) ابى مسعود الانصارى قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة قيل أى اجر سبعمائة ناقة تصدق بها واستظهر الامام النووى ان له سبعمائة ناقة يركبها كما فى خيل الجنة ونجيبها ثم هذه المضاعفة لمن انفق ولم يجاهد بنفسه والا فسبعمائة ألف ضعف ففى الحديث من أرسل نفقة فى سبيل الله تعالى وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وانفق فى وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء (وعن عبد الرحمن السلمى) قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه على مائة بعير باحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان على مائة أخرى باحلاسها واقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب ما على عثمان ما عمل بعدها (وذكر بعض المحدثين) ان عثمان التزم بثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها وبعض انه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين ناقة وخمسين فرسا وبعض بالف بعير وسبعين فرسا لكن

المشهور

المشهور الثلثمائة (وحكى) ان ذا الرياستين بن سهل انفق الف الف دينار فى سبيل
الله تعالى وقال لو كان لى ضعف ذلك لانفقته * وهكذا كان السلف الصالح فعليك
بالتأسى باخلاقهم واغرس فى رياض الجهاد لك غرسا بالانفاق ولو قليلا فقد قال
صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ (وعن كعب) دخل رجل الجنة فى
ابرة أعارها فى سبيل الله ودخلت امرأة الجنة فى مسلة أعانت بها فى سبيل الله (وذكر)
أن نافعا الفهرى كانت تأتيه المرأة بالكبة من الخيوط فتقول خذها فى سبيل الله تعالى
فيأخذها ويؤتى بثلث الدينار فى سبيل الله تعالى فيأخذه فيقال له لقد اغناك الله تعالى
عن هذا فيقول اجل ولكنى آخذ منه فيأجره الله تعالى ونعطيه فيأجرنا الله عز وجل
(وحكى) انه كان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له ابو قدامة الشامى
وقد كان حبب الله تعالى له الجهاد فى سبيل الله عز وجل والغزو الى بلاد الروم فجلس يوما
فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع اصحابه فقالوا له يا أبا قدامة حدثنا
باعجب ما رأيته فى الجهاد قال نعم انى دخلت فى بعض سنين الرقة اطلب جملا اشتريه
ليحمل سلاحى فبينما أنا يوما جالس اذ دخلت امرأة فقالت يا أبا قدامة سمعتك وأنت
تحدث عن الجهاد وتحث عليه وقد رزقت من الشعر ما لم يرزقه غيرى من النساء وقد
قصصته وأصلحت منه شكالا للفرس وعفرته بالتراب لئلا ينظر اليه أحد وقد أحببت
ان تأخذه معك فاذا صرت فى بلاد الاعداء وجالت الابطال ورميت النبال وجردت
السيوف وشرعت الاسنة فان احتجت اليه والا فادفعه لمن يحتاج اليه ليحضر شعرى
ويصيبه الغبار فى سبيل الله تعالى فانا امرأة أرملة وكان لى زوج وعصبة كلهم قتلوا
فى سبيل الله تعالى ولو كان على جهاد لجاهدت قال وناولتنى الشكال وقالت يا أبا قدامة
اعلم ان زوجى لما قتل خلف لى غلاما من احسن الشباب وقد تعلم القرآن والفروسية
والرمى على القوس وهو قوّام بالليل صوّام بالنهار وله من العمر خمس عشر سنة وهو
غائب فى ضيعة خلفها له أبوه فلعله يقدم قبل مسيرك فاوجهه معك هدية الى الله عز
وجل وأنا أسألك بحرمة الاسلام لا تحرمنى ما طلبت من الثواب قال فاخذت الشكال
فاذا هو مضفور من شعر رأسها فقالت ألقه فى بعض رحالك وانا أنظر اليه ليطمئن قلبى
قال فطرحته فى رحلى وخرجت من الرقة ومعى أصحابى فلما صرنا عند حصن مسلمة بن
عبد الملك اذا بفارس يهتف من ورائى يا أبا قدامة قف على قليلا يرحمك الله تعالى
فوقفت وقلت لاصحابى تقدموا انتم حتى انظر من هذا واذا أنا بفارس قد دنا منى
وعانقنى وقال الحمد لله الذى لم يحرمنى صحبتك ولم يردنى خائبا قلت حبيبى اسفر لى عن
وجهك فان كان يلزم مثلك غزو أمرتك بالسير وان لم يلزمك غزو رددتك فاسفر عن

قوله اجل أى نعم اه
(حكاية ابى قدامة الشامى)

قوله فى ضيعة هى المعروفة بالابعادية اه

وجهه فاذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة قلت حبيبى ألك والد قال لا بل
انا أطلب ثار والدى لانه استشهد فلعل الله يرزقنى الشهادة كما رزق أبى قلت حبيبى ألك
والدة قال نعم قلت اذهب اليها فاستأذنها فان أذنت والا فأقم عندها قال يا أبا قدامة
اما تعرفنى قلت لا قال انا ابن صاحبة الوديعة ما أسرع ما نسيت وصية أمى صاحبة
الشكال وأنا ان شاء الله تعالى شهيد من الشهداء أسألك بالله لا تحرمنى الغزو معك
فى سبيل الله تعالى فانى حافظ لكتاب الله عز وجل عارف بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
عارف بالفروسية والرمى وما خلفت ورائى أفرس منى فلا تحقرنى لصغر سنى وان أمى
اقسمت على أن لا ارجع وقالت يا بنى اذا لقيت الاعداء فلا تولهم الدبر وهب نفسك لله
تعالى واطلب مجاورة الله مع ابيك واخوانك الصالحين فى الجنة فاذا رزقك الله الشهادة
فاشفع فى يوم القيامة فانه بلغنى ان الشهيد يشفع فى سبعين من أهله وسبعين من
جيرانه ثم ضمتنى الى صدرها ورفعت رأسها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى
هذا ولدى وريحانة قلبى وثمرة فؤادى سلمته اليك فقربه من أبيه قال فلما سمعت كلام
الغلام بكيت بكاء شديدا أسفا على حسنه وجمال شبابه ورحمة لقلب والدته وتعجبا من
صبرها عنه فقال يا عم مم بكاؤك ان كنت تبكى لصغر سنى فان الله تعالى يعذب أصغر منى
اذا عصاه قلت لم أبك لذلك ولكنى أبكى لقلب والدتك كيف تكون بعدك قال فسرنا
ونزلنا تلك الليلة فلما كان الغد رحلنا وهو لا يفتر عن ذكر الله تعالى فتأملته فاذا هو
أفرسنا اذا ركبنا وخادمنا اذا نزلنا وكلما سار قوى عزمه وزاد نشاطه وصفا قلبه
وظهرت عليه علامات الفرح فلم نزل سائرين حتى قربنا من ديار الاعداء عند الغروب
فجلسنا وجلس الغلام يطبخ لنا طعاما لافطارنا وكنا صياما فغلبه النعاس فنام طويلا
فتبسم وهو نائم فقلت لاصحابى انظروا اضحكه فى نومه فلما استيقظ قلت له رأيتك ضاحكا
فى منامك قال رأيت رؤيا فأعجبتنى واضحكتنى قلت ما هى قال رأيت كأنى فى روضة
خضراء أنيقة أجول فيها فرأيت قصرا من فضة شرفه من الدر والجوهر وأبوابه من
الذهب وستوره مرخية واذا جوار يرفعن الستور وجوههن كالاقمار فقلن لى مرحبا
بك فاردت أن أمد يدى الى احداهن فقالت لا تعجل ما آن لك وسمعت بعضهن يقول
هذا زوج المرضية وقلن لى تقدم يرحمك الله فتقدمت امامى فاذا فى أعلى القصر غرفة
من الذهب الاحمر فيها سرير من الزبرجد الاخضر قوائمه من الفضة البيضاء عليه جارية
كان وجهها الشمس لولا ان الله ثبتنى لذهب بصرى وعقلى من حسن الغرفة وبهاء
الجارية فلما رأتنى قالت مرحبا بك واهلا وسهلا يا ولى الله وحبيبه أنت لى وأنا لك
فاردت ان اضمها الى صدرى فقالت لا تعجل فانت بعيد من الخنا والميعاد بينى وبينك

غدا

غدا بعد الظهر فأبشر قال أبو قدامة فقلت له حبيبي رأيت خيرا وخيرا يكون ثم بتنا متعجبين من كلامه فلما اصبحنا تبادرن[illegible]كبنا فاذا المنادى ينادى ياخيل الله اركبي وبالجنة ابشري انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا فما كان الا ساعة واذا جيش الاعداء خذلهم الله قد أقبل كالجراد المنتشر فكان اول من هجم عليهم الغلام فبدد شملهم وفرقهم وغاص فيهم فقتل منهم رجالا وجندل ابطالا فلحقته وأخذت بعنان فرسه وقلت ارجع فانت صبي لا تعرف خداع الحرب فقال ياعم ألم تسمع قول الله تعالى فلا تولوهم الادبار اتريد أن أدخل النار فبينما هو يكلمني اذ هجم علينا الاعداء هجمة رجل واحد فحالوا بيني و بين الغلام ومنعوني عنه واشتغل كل واحد بنفسه وقتل كثير من المسلمين فلما افترق الجمعان رأيت القتلى لا يحصون عددا فجلت بفرسي بين القتلى ودماؤهم تسيل ووجوههم لا تعرف من الغبار والدماء ورأيت الغلام بين سنابك الخيل قد علاه التراب وهو يتقلب فى دمه و يقول يامعشر المسلمين ابعثوا الى عمي أبا قدامة فاقبلت عليه حين سمعته ولم أعرفه لكثرة الغبار والدماء ودوس الدواب وقلت ها أنا ابو قدامة فقال ياعم صدقت الرؤيا ورب الكعبة أنا ابن صاحبة الشكال فرميت نفسي عليه وقبلته بين عينيه ومسحت التراب والدم عن محاسنه وقلت ياحبيبي لا تنس عمك أبا قدامة اجعله فى شفاعتك يوم القيامة فقال مثلك لا ينسى أتمسح وجهي بثوبك ثوبي أحق به من ثوبك دعه ياعمي ألقى الله تعالى به ياعمي هذه الحوراء التى وصفت لك قائمة على رأسي تنتظر خروج روحي وتقول لي عجل فانا مشتاقة اليك بالله ياعمي ان ردك الله سالما فتحمل ثيابي هذه المضمخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة وسلمها لها لتعلم أني لم أضيع وصيتها ولم اجبن عند لقاء الاعداء واقرأها مني السلام عليها وقل لها ان الله قبل هديتك ولي ياعم اخت صغيرة عمرها عشر كانت أول من يسلم علي اذا دخلت وآخر من يودعني اذا خرجت وقالت لي وهي تودعني عند خروجي هذا بالله ياأخي لا تبطئ عنا فاذا لقيتها فاقرأها مني السلام وقل لها يقول لك أخوك الله خليفتي عليك الى يوم القيامة ثم تبسم وقال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده وان محمدا عبده ورسوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ثم خرجت روحه فكفناه ودفناه رضي الله عنه فلما رجعنا من الغزو ودخلنا الرقة لم يكن لي هم الا دار أم الغلام فاذا بالباب جارية تشبهه حسنا وجمالا تقول لكل من مر عليها ياعم من أين جئت فيقول من الغزو فتقول اما رجع معكم أخي فيقول لا نعرفه فلما سمعتها قربت منها فسألتني كذلك ثم بكت وقالت مالي أرى الناس يرجعون وأخي لم يرجع فغلبتني العبرة ثم تجلدت خوفا على الجارية ثم قلت لها قولي لصاحبة المنزل كلمي أبا قدامة فسمعتني

المرأة خرجت الى متغيرة اللون فسلمت عليها فردت على السلام وقالت أمبشرا أنت يا أبا قدامة أم معز فقلت بيني لى البشارة من التعز[illegible] رحمك الله قالت ان كان ولدي رجع سالما فانت معزوان كان قتل في سبيل الله فانت مبشر فقلت ابشري فقد قبلت هديتك فبكت وقالت قبلت فقلت نعم فقالت الحمد لله الذي جعله ذخيرة لي يوم القيامة قالت فما فعلت أخته فقالت هي التي كانت تسألك فقربت مني فقلت لها أخوك يسلم عليك و يقول لك الله خليفتي عليك الى يوم القيامة فصرخت وخرت مغشيا عليها فحركتها بعد ساعة فاذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم سلمت ثيابه التي كانت معي لامه وودعتها وانصرفت حزينا على الغلام واخته متعجبا من صبر امهما والله اعلم

(الباب السابع)

(في التخويف من البخل بالانفاق في سبيل الله تعالى وما جاء من الوعيد الشديد فيه)

قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وقال تعالى وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين قال المفسرون في معنى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة أي بترك الانفاق في سبيل الله تعالى (وقال) صلى الله عليه وسلم من أوكى على ذهب أو فضة ولم ينفقه في سبيل الله تعالى كان جمرا يوم القيامة يكوى به فهذا كله دليل على عظم فضل الانفاق في سبيل الله تعالى وجزيل ثوابه وانه من اعلى الطاعات واجل القربات ولذلك لا يجتهد الشيطان في منع شيء من الصدقات كاجتهاده في منع الانفاق في سبيل الله تعالى بالصرف على نفسه ودابته ان خرج مجاهدا وعلى غيره من الغزاة في ثمن سلاح وعدة ومركوب لهم وما يحتاجون اليه من نفقتهم ونفقة عيالهم في مدة غزوهم ولا يسكن الى وسوسة ابليس اللعين الا من كان له دسيسة باطنة في حب الرجوع الى الدنيا وطول الامل فيها ولوصمم على طلب الشهادة لما التفت اليها ولذا كان السلف الصالح اذا نزلوا للقتال يكسرون اغماد سيوفهم و يرمونها وما ذلك الا لتمكن حب الشهادة والشوق الى لقاء الله عزوجل من قلوبهم فمن أتاه التأييد الالهي رفض وسوسته السيئة وتنبه للصواب ورغب في تعاطي اسباب حسن المآب (كما حكي عن بعض السلف) انه خرج مجاهدا فلما اصطف الفريقان جاء اليه الشيطان فذكره زوجته وجمالها وحببها اليه وكرهه في فراقها وذكره سعة عيشه وكثرة ماله حتى كاد يهم بالفرار فأتاه التأييد الالهي فقال يانفسي ان فررت فزوجتي طالق وعبيدي واماني احرار وجميع ما أملكه صدقة للفقراء والمساكين أيطيب لك عيش مع الفقر وفراق الزوجة فقالت له

نفسه لا أحب الرجوع اذا قال فتقدمي وقد يوسوس له أنك ستقتل ويبقى ولدك فقيرا اذا أنفقت مالك ولم تتركه وهذه الوسوسة ناشئة من الشك في الايمان بكفالة الله تعالى برزق العباد وتدبير معايشهم ولو تنبه لانه مجرد واسطة لعياله في ايصال الرزق وانه لا يملك لهم ولا لنفسه نفعا ولا ضرا الهمهم بذلك (وقد روى) ان الصديق رضى الله عنه جاء للنبي صلى الله عليه وسلم بجميع ماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك قال الله ورسوله (ويشبه هذا) ما حكى ان حاتما الاصم لما أراد سفرا قال لزوجته كم يكفيك وأولادك حتى اقدره لك فقالت له يا حاتم والله ما عددتك رزاقا وانما عددتك اكالا اسر حيث شئت وما روى أن عمر بن عبد العزيز لما حضرته الوفاة أحضر بنيه وهم احد عشر ذكرا وامر أن يجهز مما يخلف ثم تعطى زوجته ما يخصها وما بقى يفرق على بنيه فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين لو وكلت أمرهم الي فقال ان بني أحد رجلين ان يكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين أو غير ذلك فلا أعينهم على معصية الله عز وجل فخص كل ابن دينار واحد ولقد جهز بعد موته أحد بنيه مائة فارس على مائة فرس في سبيل الله تعالى وأما مسلمة فانه لما مات خص كل واحد من بنيه احد عشر الف دينار ولقد روى احدهم يقد في اتون الحمام فاذا تأملت حال من وكل بنيه لله ومن وكل بنيه لماله علمت ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وورد ان لله ملكا ينادي كل يوم اللهم اعط منفقا خلفا اللهم اعط ممسكا تلفا ولله در من قال

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن ارزاق
لا ينفع البخل من دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(قصة حدير)

(الباب الثامن)

(في فضل تجهيز الغزاة في سبيل الله تعالى وخلفهم في اهلهم والوعيد لمن خان مجاهدا استخلفه في اهله)

(روى) ان جبريل عليه السلام أتى للنبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يجيش جيشا نحو العدو فامر بجهازهم فجهزهم وزودهم رجلا رجلا ونسى منهم رجلا من الانصار يسمى حديرا فلم يجهزه فخرج في الجيش صابرا محتسبا يظن انه سخط من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل حدير يمشي في آخر العسكر ولا يرفع قدما ولا يضع أخرى الا وهو يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ونعم الزاد هذا يا رب فارسل الله تبارك وتعالى جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه

وسلم فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك جهزت الجيش وزودتهم ونسيت حدير الم تجهزه ولم تزوده فهو في آخر الجيش يصعد الى منه كلام أبكى به ملائكة السموات فعجل عليه بجهازه فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه بجهازه وزاده وقال للرسول احفظ أول كلامه وآخره فادركه الرسول وهو في آخر الجيش يقول لا اله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ونعم الزاد هذا يارب فقال له دونك جهازك فقال أورضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كان سخط عليك حتى يرضى عنك ولكن نسيك وان الله بعث اليه جبريل يذكره بك فخر حدير لله تعالى ساجدا ثم رفع رأسه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ذكرني ربي من فوق عرشه اللهم لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في اهله بخير فقد غزا (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخلف على امرأة غاز وأولاده يقضي لهم حوائجهم حتى يرجع الغازي زوجه الله عشرة آلاف من الحور العين لكل زوجة عشرة آلاف قصر من در وياقوت على كل قصر عشرة آلاف دار في كل دار عشرة آلاف بيت في كل بيت سرير من در وياقوت على كل سرير جارية لو برز سوارها لغلب ضوءه على ضوء الشمس والقمر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة امهاتهم ومامن رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في اهله فيخونه فيهم الا وقف يوم القيامة فيأخذ من عمله ماشاء

(الباب التاسع)

(في فضل اعانة المجاهدين وامدادهم بالعدة وغيرها واطعامهم وخدمتهم وتشييعهم وغير ذلك)

قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعان مجاهدا في سبيل الله تعالى أوغارما في عسرته أومكاتبا في رقبته اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (وعن ابن عباس) رضي الله عنهما من حمل على فرس في سبيل الله تعالى واقام كتب له مثل أجر الرجل الذي يخرج بماله ونفسه صابرا ما كان ذلك الفرس ومن اعطى سيفا في سبيل الله تعالى جاء يوم القيامة له لسان طويل على رؤس الخلائق يقول الا اني سيف فلان بن فلان لم أزل اجاهد به الى يوم القيامة ومن اعطى ثوبا في سبيل الله تعالى اعطى ثوبا من ثياب الجنة يتلون عليه كل يوم من الدنيا (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرب الى غاز طعاما أقام الله له مائدة في الجنة يصدر ٣ عنها الثقلان

٣ قوله يصدر أي يقوم

شباعا ومن قرب الى غاز شربة من ماء اعطى نهرا فى الفردوس عرضه ما بين المشرق والمغرب وعلى حافتيه قباب الدر فيها [illegible]اج من الحور العين ومن تعرض لغاز بنفقة أو بشئ يلطفه به ادنى لطف خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال تعالى ابشر عبدى كما أوليتنى وكفى بى وليا (وقال) صلى الله عليه وسلم من خدم المجاهدين يوما فله عند الله ثواب عشرة آلاف سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم من خدم قوما فى سبيل الله عز وجل كان له من اجر كل واحد منهم قيراط من الاجر لا ينقص من اجورهم شيأ وأفضل الغزاة خادمهم وراعى دوابهم (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشا فمشى معهم الى بقيع الغرقد حين توجههم ثم قال انطلقوا على اسم الله تعالى اللهم أعنهم (وفى رواية) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شيع جيشا فبلغ عقبة الوداع قال أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال أدنى ما ينقلب به مشيع الغازى بسبعين ضعفا ادناها مغفرة تجمع بينه و بين خليل الرحمن فى مقعد صدق فقيل وما للغازى قال هيهات انقطع العلم عن ثواب الله لهم (وروى) ان أبا بكر رضى الله عنه بعث جيشا الى الشام فخرج يشيعهم على رجليه فقالوا يا خليفة رسول الله لو ركبت قال احتسب خطاى فى سبيل الله (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل سمع بغاز فنهض اليه ليعينه على حاجة من حوائجه أو شيعه ساعة أو سلم عليه نهض وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهو رفيقه يوم القيامة مع الشهداء ومن جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت ومن بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله تعالى بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة (وقال) صلى الله عليه وسلم من بلغ كتاب الغازى الى اهله أو كتاب أهله اليه اعطاه الله كتابه بيمينه وكتب له براءة من النار

(الباب العاشر)

(فى فضل الخيل واحتباسها لنية الجهاد وفضل الانفاق عليها وخدمتها واكرامها وذكر ما يحمد وما يذم منها والنهى عن قص نواصيها وأذنابها ومعارفها)

قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون فسر عكرمة القوة بذكور الخيل والرباط باناثها (وقال) تعالى والعاديات ضبحا قال كثيرون القسم انما هو بالخيل التى يغزى عليها او يغار بها على العدو (وقال) صلى الله عليه وسلم حق على كل مسلم ان يرتبط فرسا اذا أطاق ذلك (وقال)

صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الاجر والمغنم الى يوم القيامة (وقال) صلى الله عليه وسلم للفرس ثلاث دعوات كل يو[illegible]ول فى الاولى اللهم اجعلنى أحب ماله اليه ويقول فى الثانية اللهم وسع عليه يوسع علىّ ويقول فى الثالثة اللهم ارزقه الشهادة علىّ (وقال) صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله تعالى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم انهم الجن ولذا لما قال رجل لابن المبارك انى أرجم فى دارى قال له اذهب فارتبط فى دارك فرسا عربيا فذهب فارتبط فرسا فانقطع عنه الرجم فسئل ابن المبارك عن ذلك فتلا قوله تعالى وآخرين من دونهم قال هم الجن (وقال) صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله تعالى ايمانا به وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله وشعره حسنات فى ميزانه يوم القيامة (وقال) صلى الله عليه وسلم الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للشيطان وفرس للانسان فامافرس الرحمن فالذى يرتبط فى سبيل الله عزوجل فعلفه وبوله وروثه وذكر ماشاء الله يعنى حسنات وأمافرس الشيطان فالذى يقامر عليه ويراهن واما فرس الانسان فالتى يرتبطها الانسان يلتمس بطنها فهو ستر من فقر (وقال) صلى الله عليه وسلم أتى عيسى بن مريم عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس انى سائلك عن شئ فهل أنت صادق فيه فقال ياروح الله سلنى عما بدا لك قال أسألك بالحى الذى لا يموت ما الذى يسيل جسمك ويقطع ظهرك قال صهيل فرس فى سبيل الله تعالى فى قرية من القرى أو حصن من الحصون ولست ادخل دارا فيها فرس فى سبيل الله تعالى (وقال) صلى الله عليه وسلم من حبس فرسا فى سبيل الله تعالى كان ستره من النار (وقال) أبو امامة الباهلى فى قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال الخيل فى سبيل الله تعالى (وقال) أيوب بن خالد فى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا من ربط فرسا فى سبيل الله تعالى فهو يقرض الله قرضا حسنا (وقال) صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير والنيل الى يوم القيامة واهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة وأبوالها وأرواثها لاهلها عند الله يوم القيامة من مسك الجنة (وقال) صلى الله عليه وسلم من ارتبط فرسا فى سبيل الله تعالى كان له مثل اجر الصائم الذى لا يفطر والقائم الذى لا يفتر والباسط يده بالصدقة كذلك (وعن عائشة) رضى الله عنها قالت خرجت ذات غداة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح وجه فرسه بثوبه فقالت يارسول الله بثوبك فقال ومايدريك لعل جبريل قد عاتبنى فيه الليلة قالت فولنى علفه فقال لقد أردت ان تذهبى بالاجر كله اخبرنى جبريل ان ربى يكتب لى بكل حبة حسنة (وحكى) ان روح بن زنباع زار تميما الدارى فوجده ينقى شعيرا لفرسه وحوله أهله فقال ما كان فى هؤلاء من يكفيك هذا قال بلى

لانها أى نتاجها

ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى شعيرا لفرسه يعلقه عليه كتب الله له بكل حبة حسنة (وقال) صلى الله عليه وسلم من كان له فرس عربي فاكرمه اكرمه الله تعالى وان اهانه اهانه الله تعالى (وقال) صلى الله عليه وسلم خير الخيل الادهم ٣ والاقرح الارثم ثم الاقرح المحجل طلق اليمنى فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية (وقال) رجل يا رسول الله اني اريد ان اشتري فرسا فايها اشتري قال اشتر أدهم ارثم محجلا مطلق اليمنى أو من الكميت على هذه الشية تغنم وتسلم (وقال) صلى الله عليه وسلم يمن الخيل في شقرها (وقال) صلى الله عليه وسلم لو جمعت خيول العرب في صعيد ثم ارسلت لكان سابقها أشقر (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الشكال ٤ من الخيل (وذكر بعضهم) ان الفرس الذي قتل عليه الحسين بن علي رضي الله عنهما كان اشكل (وقال) صلى الله عليه وسلم لا تقصوا نواصي الخيل ولا معارفها ولا أذنابها فان اذنابها مذابها ومعارفها ادفاؤها ونواصيها معقود فيها الخير *(فوائد الاولى)* كان له صلى الله عليه وسلم من الخيل نحو العشرين وهي مبسوطة في محالها (الثانية) قال صلى الله عليه وسلم لا تحضر الملائكة من اللهو شيأ الا لهو الرجل مع امرأته واجراء الخيل والنضال (الثالثة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم خيل القوم رافعة رؤسها كثيرا صهيلها فاعلموا ان الدائرة لهم واذا رأيتم خيل القوم ناكسة رؤسها قليلا صهيلها تحرك أذنابها فاعلموا ان الدائرة عليهم

(الباب الحادي عشر)

(في فضل الرباط والحراسة في سبيل الله تعالى وفضل من مات مرابطا وفضل اعمال المرابط والحارس من الصوم والصلاة والذكر وغيرها)

اعلم أن الرباط هو حبس الانسان نفسه في ثغر يتوقع فيه نزول العدو بنية الجهاد أو الحراسة أو تكثير سواد المسلمين الذين فيه وان كان معهم اهل وأولاد ولهم اسباب ان أمنوا في ذلك المكان عليهم وليس بمرابط من اقام فيه لكونه منشأه ووطنه وللغبطة باسبابه وانشابه لفقد النية السابقة فان لم يأمنوا عليهم اثموا لما ورد في الحديث من نهي المؤمنين عن تعريض ذريتهم لاعدائهم (قال) الله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (وقال ابن عمر) رضي الله عنهما فرض الجهاد لسفك دماء اعداء المؤمنين والرباط لحقن دماء المسلمين وحقن دماء المسلمين احب الي من سفك دماء اعداء المؤمنين (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من رابط يوما في سبيل الله عز وجل جعل الله تعالى

٣ قوله الادهم هو الاسود المائل الى بياض والاقرح هو الذي في وسط جبهته بياض يسير اقل من الغرة والارثم هو الذي في شفته العليا بياض والمحجل هو الذي في رجليه ويده اليسرى بياض ويمناه مطلقة كلونه والكميت هو الذي ليس باشقر ولا بادهم بل يخالط حمرته سواد وقوله على هذه الشية أي على هذه الصفة اه

٤ قوله الشكال هو بياض الرجل اليمنى واليد اليسرى أو الرجل اليسرى واليد اليمنى اه

بينه و بين النار سبع خنادق كل خندق كسبع سموات وسبع ارضين (وقال) صلى الله عليه وسلم من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام وصلى (وقال) صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترى اعينهم النار عين حرست في سبيل الله تعالى وعين بكت من خشية الله تعالى وعين كفت عن محارم الله تعالى (وقال) صلى الله عليه وسلم من حرس ليلة على ساحل البحر كان أفضل من عبادته في أهله الف سنة (وعن) سهل بن حنظلة رضي الله عنه انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فاطنبوا السير حتى كانت عشية فحضرت صلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال يا رسول الله اني انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن على بكرة ابيهم وظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا على حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى ثم قال من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي أنا يا رسول الله قال فاركب فركب فرسا له وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة فلما اصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال هل أحسستم فارسكم قالوا يا رسول الله ما احسسنا فثوب بالصلاة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي و يلتفت في الشعب حتى اذا قضى صلاته قال ابشروا فقد جاء فارسكم فجعلنا ننظر الى خلال الشجر في الشعب فاذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني انطلقت حتى اذا كنت في اعلى الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبحت اطلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم ار أحدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نزلت الليلة قال لا الا مصليا أو قاضي حاجة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوجبت ٢ فلا عليك أن لا تعمل بعدها (وقال) صلى الله عليه وسلم حرس ليلة في سبيل الله تعالى افضل من الف ليلة يقام ليلها و يصام نهارها (وقال) صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بليلة افضل من ليلة القدر حارس ٣ حرس في أرض خوف لعله ان لا يرجع الى اهله وبهذا كله تعلم ان الحراسة نوع من الرباط بل هي أفضل انواعه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثن اقوام يوم القيامة يتلألأ نور وجوههم يمرون بالناس كهيئة الريح يدخلون الجنة بغير حساب فقيل من هم يا رسول الله قال أولئك قوم ادركهم الموت وهم في الرباط (وقال) صلى الله عليه وسلم ان اجر المرابط يوما وليلة كقيام القائم في أهله شهرا فان مات امن من فتنة القبر وكتب في قبره هذا مرابط في سبيل الله تعالى واجرى عليه عمله كاحسن ما كان يعمل الى يوم

له أوجبت أي
...فسك بالحراسة
...ب الجنة أي
... اهـ
...رس الحارس
...روف الآن
اهـ

الحساب

الحساب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مرابطا وقى فتنة القبر وأمن الفزع الاكبر واجرى عليه ما كان يعمل الى يوم القيامة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم برباط كتب الله عزوجل بين عينيه براءة من النفاق فاذا خرج فاصلا وكل الله تعالى به ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فاذا هو وصل كانت دعوته مستجابة فان مات فهو شهيد وهو وافد لاثنين يشفع لهم يوم القيامة وان قتل فهو شهيد وهو وافد لسبعين يشفع لهم يوم القيامة (وقال) صلى الله عليه وسلم كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر (وقال) صلى الله عليه وسلم والمرابط اذا مات فى رباطه كتب له اجر عمله الى يوم القيامة وغدى عليه وريح برزقه ويزوج سبعين حوراء وقيل له قف واشفع الى أن يفرغ من الحساب (وقال) صلى الله عليه وسلم صلاة فى الساحل على البحر بالف الف صلاة مضاعفة (وعن معاذ بن جبل) رضى الله عنه قال تعدل كل حسنة من حسنات المرابط جميع حسنات العابدين

قوله الصف هو المعروف الآن بالطابور اه

﴿الباب الثانى عشر﴾

(فى فضل الصف والخوف فى سبيل الله تعالى)

قال الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص (وقال) صلى الله عليه وسلم تفتح ابواب الجنة عند صف القتال وصف الصلاة فاذا ركبتم خيلكم وصافقتم عدوكم تزين الحور العين بالحرير الاخضر والسندس ووشاح الدر الاصفر وحسرن عن قصيصهن وصدورهن ثم ركبن خيلا من خيل الجنة برحائل الياقوت وجئن حتى يصرن خلفكم فاذا حملتم حلن معكم واذا صرع احدكم اقبلن يمسحن الدم والغبار عن وجهه وقلن اليوم تنقضى عنكم الدنيا وهمومها اليوم جاورتم الرب الكريم وشربتم من الرحيق المختوم وعانقتم ازواجكم من الحور العين (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا رجف قلب المؤمن فى سبيل الله تعالى تحاتت خطاياه كما تتحات عذق النخلة (وعن سعيد بن ابى هلال) انه بلغه ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه تصدق بصدقة عجب لها الناس حتى ذكرت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اعجبتكم صدقة ابن عوف قالوا نعم يارسول الله قال لروعة صعلوك من صعاليك المهاجرين يحز سوطه فى سبيل الله عزوجل أفضل من صدقة ابن عوف (وقال) صلى الله عليه وسلم ما معناه من نزل منزلا يخيف فيه الاعداء ويخيفونه حتى يدركهم الموت كتب له كأجر ساجد لا يرفع رأسه الى يوم القيامة واجر صائم لا يفطر الى يوم القيامة واجر قائم لا يقعد

الى يوم القيامة

(الباب الثالث عشر)

(فى طلب تعلم الرمى فى سبيل الله تعالى وفى اتخاذ آلته وفى فضل الرمى وفى بيان اثم من تعلمه ثم تركه)

اعلم ان الائمة اتفقوا على جواز المسابقة بالسهام وتسمى نضالا والمسابقة بالخيل وتسمى رهانا وان تعلم الرمى (وهو عبارة عما اشتهر فى زمننا هذا بالتنشين الا انه عام فى السهم ونحوه كالبندقية والمدفع) بنية الجهاد مما طلبه الشارع وحض عليه حتى قال بعضهم انه واجب قال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فى صحيح مسلم ان المراد بالقوة الرمى (وقال) صلى الله عليه وسلم تعلموا الرماية والقرآن وخير ساعات المؤمن حين يذكر الله تعالى (وعن أبى رافع) قال قلت يا رسول الله للولد علينا حق كحقنا عليهم قال نعم حق للولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى (وقال) صلى الله عليه وسلم من اتخذ قوسا عربية وجفيرها نفى الله تعالى عنه الفقر (وقال) صلى الله عليه وسلم من اتخذ قوسا فى بيته نفى الله تعالى عنه الفقر أربعين سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم ما على أحدكم اذا لج به همه ان يتقلد قوسه يتقى بها همه (وقال) صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله ارموا واركبوا وأن ترموا احب الى من ان تركبوا الحديث وبهذا استدل من ذهب الى أن تعلم الرمى افضل من تعلم ركوب الخيل خلافا للامام مالك رضى الله عنه (وقال) صلى الله عليه وسلم من رمى رمية فى سبيل الله قصر او بلغ كان مثل اجر اربعة اناس من بنى اسمعيل اعتقهم (وقال) صلى الله عليه وسلم من تعلم الرمى ثم تركه فقد عصانى (وقال) صلى الله عليه وسلم من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة جحدها وذهب بعض العلماء الى ان ترك الرمى بعد تعلمه من الكبائر (ولقد درج على استدامته السلف الصالح) فقد روى عن ابراهيم التيمى عن ابيه قال رأيت حذيفة رضى الله عنه بالمدائن يشتد بين الهدفين ليس عليه ازار وكذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما وغيرهما وهذا مما يدل على اهتمام الصحابة رضى الله عنهم بالرمى وهم شموس الاهتداء ونجوم الاقتداء وملوك الدنيا والآخرة حتى ان احدهم لا يكتفى بالمشى بل بالجرى بغير ازار طلبا للخفة وتعويدا للجسد على التعب (فينبغى للرامى) حال الرمى ترك الاحتشام وطرح الرياسة المعتادة ويحتسب هذا قربة عند الله تعالى ويرى ما هو فيه من اجل الطاعات واجزل الحسنات ويشكر الله على توفيقه لذلك ولا بأس حينئذ بالتباسط مع الاخوان والضحك بل هو

[margin note:] ...يرها الجفير ...انة والجعبة ...ل كالجربندية ...آن بالنسبة

مستحب

مستحب الا أن يصل الحد المكروه (قال) بلال بن سعد وكان من اجل علماء التابعين ادركت اقواما يشتدون بين الاغراض ويضحك بعضهم الى بعض فاذا جنهم الليل كانوا رهبانا * (فائدتان الاولى) * القوس قسمان عربية وفارسية ونسبت الاولى الى العرب لان اباهم وهو اسمعيل عليه السلام كان الاصل فى رمى العرب بها وهى اصناف حجازية وواسطية وغيرهما ونسبت الثانية لفارس لانها كثيرة الاستعمال عندهم وهذا كله كان فى الاعصر المتقدمة وأما الاعصر المتأخرة فقد تقدمت صناعها فى صناعة رمى المقذوفات القاتلة فاحدثوا لذلك آلات متنوعة (منها آلة) تسمى بالبندقية (ومنها آلة) تسمى بالمدفع وغير ذلك مما هو معلوم بتفاصيله عند أربابه والثواب الوارد فى الرمى بالقوس لاشك انه فى غيرها من الآلات المذكورة وغيرها بل ربما زاد اضعافا بواسطة كثرة نتائجه * الثانية كان له صلى الله عليه وسلم ست اقواس وجعبة ومنطقة أديم حلقتها وابزيمها فضة

قوله وجعبة هى الجفير السابق وهى للنبل كالكفة للبارود والمنطقة هى المعروفة بالسبتة والاديم الجلد اه

(الباب الرابع عشر)
* (فى فضل سيوف المجاهدين ورماحهم وعدتهم) *

قال الله تعالى وليأخذوا أسلحتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قيل هى السلاح والقسى (وقال) صلى الله عليه وسلم من أعد عدة فى سبيل الله تعالى جعلت فى ميزانه كل غداة (وقال) صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى الحديث (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو ينتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال يا أيها الناس لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله تعالى العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف (وقال) صلى الله عليه وسلم من تقلد سيفا فى سبيل الله تعالى قلده الله وشاحين من الجنة لاتقوم لهما الدنيا وما فيها من يوم خلقها الله تعالى الى يوم يفنيها وصلت عليه الملائكة حتى يضعه عنه وان الله تعالى ليباهى ملائكته بسيف الغازى ورمحه وسلاحه واذا باهى الله عز وجل ملائكته بعبد من عباده لم يعذبه بعد ذلك * (فوائد الاولى) * كان للنبى صلى الله عليه وسلم نحو عشرة أسياف وخمسة رماح وثلاث حراب وسبع دروع وثلاثة اتراس وهى مبسوطة فى محلها * الفائدة الثانية أول سيف سل فى سبيل الله تعالى سيف الزبير بن العوام ببركة دعوته صلى الله عليه وسلم له وذلك انه اسلم وله ثمان سنين فنفحت نفحة من الشيطان ان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بأعلى

مكة فخرج الزبير رضى الله عنه وهو ابن اثنى عشرة سنة ومعه سيف فمن رآه لا يعرفه قال الغلام معه السيف حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال مالك فقال اخبرت انك أخذت قال فكنت ماذا صانعا قال كنت اضرب به من أخذك فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم ولسيفه فكان سيفه أول سيف سل فى سبيل الله تعالى قال ابن أبى الزناد ضرب به عثمان بن عبد الله بن المغيرة يوم الخندق على مغفره فقطعه الى القربوس فقالوا ما أجود سيفك فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف وهى احدى الضربات المشهورة فى الاسلام * الفائدة الثالثة ينبغى أن لا تقص الاظفار فى الجهاد فقد قال الحكم بن عمرو أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نحفى الاظفار فى الجهاد فان القوة الاظفار (وقال) عمر رضى الله عنه وفروا الاظفار فى أرض العدو فانها سلاح (وقال) احمد يحتاج اليها فى أرض العدو ألا ترى انه اذا أراد أن يحل الحبل أو الشئ فاذا لم يكن له أظفار لم يستطع

(الباب الخامس عشر)

(فى فضل الجرح ونحوه وفضل من قتل من المؤمنين عدواله فى سبيل الله تعالى)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحد فى سبيل الله تعالى والله اعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك (وقال) صلى الله عليه وسلم من قاتل فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من نفسه صادقا ثم مات اوقتل فان له أجر شهيد ومن جرح جرحا فى سبيل الله تعالى أو نكب نكبة فانها تجىء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج فى سبيل الله تعالى جاء يوم القيامة ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران عليه طابع الشهداء الحديث (وقال) صلى الله عليه وسلم ليس شئ أحب الى الله تعالى من قطرتين واثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى واما الاثران فاثر فى سبيل الله تعالى وأثر فريضة من فرائض الله تعالى (وعن انس بن ملك) قال رمى أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة الى داخل الحديقة فانكسرت رجله فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل (وروى) ان طلحة الخير اصابه يوم أحد وهو يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع وسبعون بين طعنة ورمية وضربة وانه قال عقرت فى جميع جسدى حتى فى ذكرى (وعن معاذ) بن عمرو بن الجموح قال جعلت أبا جهل يوم بدر من شأنى فلما امكننى حملت عليه فضربته فقطعت قدمه بنصف ساقه فضربنى ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى وبقيت معلقة بجلدة

يكلم اى يجرح اه

يثعب بفتح الياء ون الثاء وفتح العين سيل دمه اه

بجنبي وأجهضني عنه القتال فقاتلت عامة يومي واني لا كهاخلفي فلما آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها (وروى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اصيب وجهه وثلمت رباعيته وكلمت شفته واصيبت وجنته وقال وقد جرحت اصبعه الشريفة صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

(فائدتان الاولى) في الحديث الصحيح ان القتيل في سبيل الله لا يجد من ألم القتل الا كما يجد أحدكم من مس القرصة كاملا واذا كان هذا حال القتل فكيف بما دونه من الجراح (ومن هذا ما نقل) عن امرأة فتح الموصلي انها عثرت يوما وهي في الجهاد فطار ظفرها فضحكت فقيل لها ايذهب ظفرك وتضحكين فقالت ان حلاوة الاجر شغلتني عن مرارة الالم (واعجب منها) ما حكى ان حباش بن قيس القشيري لما شهد اليرموك قتل من العلوج خلقا كثيرا وقطعت رجل يومئذ وهو لا يشعر بقطعها فلما انفصلت الحرب جعل ينشدها * الفائدة الثانية عن كهيل الازدي وكانت له صحبة قال اصيب الناس يوم احد وكثرت فيهم الجراحات فأتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الناس قد كثرت فيهم الجراحات قال انطلق فقم على الطريق فلا يمر بك جريح الا قلت بسم الله شفاء الحي الحميد من كل حد وحديد أو حجر تليد اللهم اشف انه لا شافي الا أنت قال كهيل فانه لا يقيح ولا يدمي (ومما) يقطع الدم المنبعث من الجراح الطرية الصعبة القرطاس المحرق *(وأما فضل المؤمن الذي قتل عدوه في سبيل الله تعالى)* فقد قال تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (وقال) صلى الله عليه وسلم ما معناه لا يجتمع مؤمن ومقتوله في سبيل الله تعالى في النار ابدا (وقال) علي بن بكار لقد رأيت رجلا يبلاد الروم وان امعاءه على قربوس سرجه فادخلها بطنه ثم شد بطنه بعمامته ثم قاتل فقتل بضعة عشر علجا (وقال) صلى الله عليه وسلم يوم حنين من قتل قتيلا فله سلبه فقتل أبو طلحة عشرين قتيلا يومئذ واخذ اسلابهم (وروى) ان البراء بن مالك استلقى على ظهره فترنم فقال له أنس اذكر الله يا أخي فاستوى جالسا وقال أي انس ابن أبي لا أموت على فراشي وقد قتلت مائة من الاعداء مبارزة سوى ما شاركت في قتله (وروى) انه يوم مسيلمة احتمل في ترس على الرماح واقتحم اليهم فقاتل وفتح الباب وجرح يومئذ بضعا وثمانين جرحا

(الباب السادس عشر)

*(في فضل انغماس الرجل الشجيع أو الجماعة القليلة في العدد الكثير رغبة في

الشهادة ونكاية فى العدو)*

قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله تعالى ويضحك اليهم ويستبشر بهم الذى انكشفت فئته فقاتل وراءها بنفسه فاما أن يقتل واما ان ينصره الله تعالى ويكفيه فيقول الله تعالى انظروا الى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه والذى له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل فيقول يذر شهوته ويذكرنى ولوشاء رقد والذى اذا كان فى سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا فقام فى السحر فى ضراء وسراء (وعن) واثلة بن الاسقع قال لما نزل خالد بن الوليد الصفر ٢ ركبت فرسى واقبلت اسير حتى انتهيت الى باب الجابية فنزلت عن فرسى فعكته ثم شددت عليه سرجه ثم اعتمدت على رمحى فسمعت صرير فتح باب الجابية واذا بانا س قد خرجوا القضاء حاجة الانسان فقلت فبيح ان احمل على رجل على مثل هذه الحالة فلم يكن الايسيرا حتى خرجت خيل عظيمة فامهلتها حتى اذا كانت فيما بينى و بين دير ابن أبى أوفى حملت عليهم من خلفهم ثم كبرت فظنوا انه قد احيط بهم فانصرفوا راجعين وشددت على عظيمهم فضربته بالرمح فوقع وأخذت برذونه ثم ركبته فنظروا الى فلما رأونى وحدى أقبلوا على فالتفت فاذا برجل قدندر ٣ بين أيديهم فرميت بالعنان على قربوس السرج ثم عطفت عليه فطعنته بالرمح فقتلته ثم عدت الى البرذون فاتبعونى فالتفت فاذا برجل قدندر بين أيديهم فالقيت العنان على قربوس السرج ثم عطفت عليه فطعنته بالرمح فقتلته حتى واليت بين ثلاثة فلما رأوا ما أصنع انطلقوا راجعين وأقبلت أسير حتى أتيت الصفر فاتيت منزلى فربطت البرذون ونزعت عنه سرجه ثم أتيت خالد بن الوليد فذكرت له ما صنعت وعنده عظيم الروم قد كان خرج اليه يلتمس الامان لاهل المدينة فقال له خالد هل علمت ان الله تعالى قد قتل فلانا يعنى خليفته قال بالرومية ما ترجمته معاذ الله فاقبل واثلة بالبرذون فلما نظر اليه عظيم الروم وعرفه قال أتبيعنى السرج قال نعم قال لك عشرة آلاف قال خالد دعه فقال له واثلة دعه انت أيها الامير فباعه قال وسلم الى سلبه كله (وروى) ان بسر بن ارطاة غزا الروم فكان العدو يكمن لهم فيصيب ساقة جيشه فلما رأى بسر ذلك تخلف فى مائة من جيشه فانفرد يوما فى بعض أودية الروم فاذا نحو ثلاثين برذونا مربوطة الى جنب كنيسة فيها فرسان تلك البراذين الذين كانوا يصيبون ساقته فنزل عن فرسه فربطه ثم دخل الكنيسة فاغلق عليه وعليهم بابها فعجبت الروم من اغلاقه فما استقلوا الى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة وفقده أصحابه فطلبوه فاتوا فعرفوا فرسه وسمعوا الجلبة ٤ فى الكنيسة فاتوها فاذا بابها مغلق فقلعوا بعض السقف

ونزلوا

...ة واثلة بن الاسقع
...قعة الصفر)*
...له الصفر بضم الصاد
...بديا الفاء المفتوحة
...ع بالشام اه

...له ندر بالدال المهملة
...ظهر وبرز اه

...ة بسر بن ارطاة
...روم)*
...الجلبة بفتح الجيم
...م أى الصوت

ونزلوا عليهم وبسر ممسك طائفة من أصحابه بيسراه والسيف باليمنى فلما تمكن أصحابه فى الكنيسة خر بسر مغشيا عليه فاقبلوا على أولئك فقتلوا وأسروا فاقبلت عليهم الاسارى فقالوا ننشدكم الله من هذا قالوا بسر بن ارطاة فقالوا والله ما ولدت النساء مثله ثم ردوا أمعاءه الى جوفه ولم يتخرق منها شئ ثم عصبوه بعمائمهم وحملوه فسلم وعوفى (وقال الوليد) أخبرنى شيخ من حمص انه أدرك بها شيخا روميا أعور من فرسان الروم الذين كانوا بحمص فقيل له سله عن سبب عوره فسأله فقال ان المسلمين لما قصدوا حمص نزلوا بحيرة قدس على نهر الاردن فبعثنى بطريق حمص فى ثلاثين من فرسانه لنستبطن النهر وندنو من عسكر المسلمين فنأتيه بأحد او خبر فخرجنا فلما دنونا من العسكر اذا برجل فى الجانب الآخر من النهر مبقعا فرسه النهر ورمحه الى جانبه فلما رآنا وضع سرجه على فرسه وركب وتناول رمحه فظننا انه خاف منا وأراد ان يخبر بنا عسكره فانزل الفرس فى الماء فعجبنا من جراءته على النهر وعلينا فخرجت به فرسه من النهر وانتفضت به فلما انتهى الى الجرف الذى يلينا أرادها الوثوب به فلم تستطع فقام على سرجه ووضع الرمح فاتكأ عليه ووثب على الجرف وصاح بها فوثبت اليه فركبها ثم أقبل علينا بقوته ففرق بيننا وكلما خلا برجل قتله فولينا منهزمين الى المدينة فتبعنا وكلما لحق رجلا منا قتله حتى لم يبق منهم غيرى وقد رأى من على برج المدينة ما صنع بنا فاخرجوا فوارس فظننت انه خافهم فهرب فالتفت لأرى ما صنع فاذا سنان رمحه فى عينى وأحاطت به الفرسان فقتلوه فاقبل جماعة من المسلمين فى طلبه فوجدوه صريعا ودخلنا المدينة (وعن البراء بن عازب) قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى رافع اليهودى عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة فى ناس معهم فانطلقوا حتى اذا دنوا من الحصن فقال لهم عبد الله بن عتيك امكثوا أنتم حتى انطلق أنا فانظر قال فتلطفت ان أدخل الحصن ففقدوا حمارا لهم فخرجوا بقبس يطلبونه قال فخشيت ان أعرف فغطيت رأسى وجلست كأنى أقضى حاجة ثم نادى صاحب الباب من أراد أن يدخل فليدخل قبل ان أغلقه فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل ثم رجعوا الى بيوتهم فلما هدأت الاصوات ولا أسمع حركة خرجت ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن فى كوة فاخذته ثم فتحت باب الحصن قال قلت ان نذر بى القوم انطلقت على مهل ثم عمدت الى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ثم صعدت الى أبى رافع فى سلم فاذا البيت مظلم قد طفئ سراجه فلم أدر أين الرجل فقلت يا أبا رافع فقال من هذا فعمدت نحو الصوت فاضربه فصاح فلم يغن شيأ ثم جئت كأنى أغيثه فقلت مالك يا أبا رافع وغيرت صوتى فقال ألا أعجبك لامك الويل

(قصة الرومى الاعور فى سبب عوره)

(قصة قتل أبى رافع اليهودى)

دخل على رجل فضربني بالسيف فعمدت اليه أيضا فاضربه أخرى فلم تغن شيأ فصاح
وقام أهله ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث واذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف
في بطنه ثم اتكئ عليه حتى سمعت صوت العظم ثم خرجت دهشا حتى أتيت السلم
أريد ان أنزل فاسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا
فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أبرح حتى أسمع صوت الناعية فلما كان
من وجه الصبح صعد الناعية فقال أنعى أبا رافع فقمت مابي قلبة فادركت أصحابي قبل
ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته وفي رواية فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم اشتكها قط (ومن لطف
همم الملوك الاسلامية مافعل البارسلان التركي مع الروم) وقصته انه بلغه ان ملك الروم
خرج من القسطنطينية في ستمائة ألف غير المتطوعة فكانوا لايدركهم الطرف ولا
يحصرهم العد بل كانت جيوش متواصلة وعساكر متزاحمة وكراديس يتلو بعضها
بعضا كالجبال الشوامخ وقد أعدوا من السلاح والكراع وآلات فتح الحصون مايعجز
عنه الوصف واقتسموا الدنيا فجعلوا الكل مائة الف قطر العجم والعراق الملك وديار مضر
وديار ربيعة الملك ومصر والمغرب الملك والحجاز واليمن الملك والهند والصين الملك والروم
الملك فاضطربت ممالك الاسلام واشتد وجلهم وكثر جزعهم وهرب بعضهم من بين أيديهم
وأخلوا لهم البلاد وكان البارسلان سلطان العجم والعراق يومئذ فجمع وجوه مملكته
وقال قد علمتم مانزل بالمسلمين فما رأيكم قالوا رأينا تبع رأيك وهذه الجموع لاقبل لاحد بها
قال واين المفر لم يبق الا الموت فموتوا كراما أحسن قالوا أما اذا سمحت بنفسك فنفوسنا
لك الفداء فعزموا على ملاقاتهم وقال نلقاهم في أول بلادي فخرج في عشرين ألفا من
الانجاد الشجعان المنتخبين فلما سار مرحلة عرض عسكره فوجدهم خمسة عشر ألفا
ورجعت خمسة فلما سار مرحلة ثانية عرض عسكره فاذا هم اثنا عشر ألفا فلما واجههم
عند الصباح رأى ما اذهل العقول وحير الالباب وكان المسلمون كالشامة البيضاء في
الثور الاسود فقال اني هممت على ان لا أقاتلهم الا بعد الزوال قالوا ولم قال لان هذه
الساعة لايبقى على وجه الارض منبر للمسلمين الا دعوا لنا بالنصر وكان ذلك يوم الجمعة
فقالوا افعل فلما زالت الشمس صلى وقال ليودع كل واحد صاحبه وليوص ففعلوا ذلك
فقال اني عازم على ان احمل فاحملوا معي وافعلوا كما أفعل فاصطف الروم عشرين صفا
كل صف لايرى طرفاه ثم قال بسم الله وعلى بركة الله احملوا معي ولا يضرب أحد
منكم بسيف ولا يرمي بسهم الى ان افعل وحمل وحملوا معه حملة واحدة فخرقوا صفوف
الروم صفا بعد صف لايقف لهم شئ حتى انتهوا الى سرادق الملك واحاطوا به وهو

ه قلبة بفتح القاف
لام أي شدة من
لم اه

قصة البارسلان
ركي مع الروم)*

ه لاقبل بكسر القاف
ح الباء أي لاطاقة

لايظن

لايظن ان احـدا يصل اليه فما شعر حتى قبضوا عليـه وقتلوا كل من كان حوله وقطعوا رأسا فرفعوه على رمح وصاحوا اقتل الملك فولوا منهزمين لايلوون على شئ وحكموا السـيوف فيهم أياما فلم ينج منهـم الاقتيل أو أسير وجلس البارسلان على سرير الملك فى مضربه فى سرادقه وعلى فراشه وأكل من طعامه ولبس من ثيابه واحضر الملك بين يديه وفى عنقه حبل فقال ما كنت صانعا بى لو ظفرت بى قال أو تشك أنت فى قتلك حينئذ قال البارسـلان وأنت أقل فى عينى من أن أقتلك اذهبوا فبيعوه فطوفوا به جميع العسكر والحبـل فى عنقه ينادى عليـه بالدراهم والفلوس فما يشتريه أحد حتى انتهوا فى آخر العسكر الى رجل فقال ان بعتمونيه بهذا الكلب اشتريته فأخذوه وأخـذوا الكلب وأتوا بهـما الى البارسلان وأخبروه بما صنعوا به وبما دفع فيه فقال الكلب خير منـه فانه ينفع وهذا لا ينفع خذوا الكلب واعطوه هذا الكلب ثم انه بعد ذلك أمر باطلاقه وان يجعل الكلب قرينه مربوطا فى عنقه ووكل به من يوصله الى بلاده فلما وصـل عزلوه عن الملك

(الباب السابع عشر)

(فى حكم المبارزة وذكر بعض المبارزين)

المبـارزة بدون طلب ولا اذن من الامير جائزة ومع طلب الكافر لها أو اذن الامير فيها مستحبة وانما تحسن ممن جرب نفسه ووثق بقوته وتكره من ضعيف لا يثق بنفسه وقيل تحرم حينئذ والمبارزة فى الحروب واجابة من دعا لها لم تزل سنة الابطال وعادة الشجعان ونخبارهم فى الجاهلية والاسلام (فمن ذلك ما وقع لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه مع عمرو ابن ود) وهو أنه خرج من صفهم ونادى من يبارز فقام على رضى الله عنـه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يا نبى الله فقال انه عمرو اجلس فنادى عمرو ألا رجل أين جنتكم التى تزعمون ان من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون الى رجل فقام على رضى الله عنه فقال أنا له يارسول الله فقال اجلس ثم نادى الثالثة وقال

(قصة على رضى الله عنه مع عمرو بن ود)

ولقد بححت من الندا * بجمعكم هل من مبارز

ووقفت اذ جبن المشجع وقفة الرجـل المناجز

وكذاك انى لم أزل * متسرعا قبل الهزاهز

ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنـه وقال أنا له يارسول الله فقال انه عمرو وقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى اليه على وهو يقول

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجي كل فائز
انى لأرجو أن أقيم * عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى * ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو من أنت قال أنا على بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو اسن منك فاني اكره ان اهريق دمك فقال له على رضى الله عنه ولكني والله لا اكره ان اهريق دمك فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على مغضبا واستقبله على رضى الله عنه بدرقته فضربه عمرو فى الدرقة فقدفها واثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه على رضى الله عنه على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف ان عليا قد قتله (ومن ذلك ما روى) عن اليزيدى بطرسوس قال حدثني أبي وكان أول من سكن بطرسوس حين بناها قال كان يغازينا من الشام ثلاثة اخوة فرسانا شجعانا وكانوا لا يخالطون أهل العسكر وكانوا يسيرون وينزلون وحدانا فاذا رأوا العدو لم يقاتلوا ما كفوا فغزوا مرة فلقيهم الطاغية فى جمع كبير من البطارقة فقاتل المسلمون قتالا شديدا فقال بعضهم لبعض قد ترون ما نزل بالمسلمين وقد وجب علينا الآن بذل نفوسنا فتقدموا وقالوا ان بقى من المسلمين كونوا من ورائنا وخلوا بيننا وبين القتال نكفيكم ان شاء الله تعالى فقاتلوا حتى هزموا الروم فقال ملك الروم لمن كان معه من البطارقة من جاءنا برجل من هؤلاء قدمته فشدت الروم عليهم فاخذتهم اسرى لم يصب أحدا منهم جرح فقال ملكهم لا فتح ولا غنيمة أفضل من هؤلاء فارتحل حتى أتى بهم القسطنطينية فعرض عليهم دين النصرانية وقال انى اجعل فيكم الملك فابوا عليه ونادوا وامحمداه فقال الملك ما يقولون قيل يدعون نبيهم فاقبل عليهم الملك وقال ان أنتم اجبتموني والا غليت قدورا حتى اذا بلغت القيت كل واحد منكم فى قدر قال فابوا فامر بثلاثة قدور فنصبت ثم صب فيها الزيت ثم أمر بالوقود فاوقد تحتها ثلاثة أيام كل يوم يعرض عليهم ويوقفهم على القدور فابوا ان يجيبوا وأقاموا على الاسلام فنادى الاكبر فى اليوم الثالث وعرض عليه وقال ان لم ترجع عن دينك الى ديني ألقيتك فى هذه القدر فابى فالقاه فى القدر فارتفعت فى الحال عظامه تلوح ثم فعل بالثاني مثله فلما رأى صبرهما على ما فعل بهما ندم وقال فعلت هذا بقوم لم أر أشجع منهم وأراد ان يكون منهم فى الروم بقية فامر بالصغير فقرب منه فصار يفتنه عن دينه فقام اليه علج من علوجه فقال أيها الملك ما تجعل لى ان أنا فتنته قال ابطرقك قال رضيت قال الملك بماذا تفتنه قال قد علم الملك ان العرب أسرع شئ الى

قصة الاخوة الثلاثة (الروم)*

النساء وقد علمت الروم ان ليس فيهم امرأة اجمل من ابنتي فلانة فادفعه الي حتى أخليه معها فانها ستفتنه فضرب الملك بينه وبين العلج أجلا أربعين يوما فدفعه اليه فادخله مع ابنته واخبرها بذلك كله فقالت دعه فقد كفيت أمره فاقام معها اليله قائم ونهاره صائم لا يفتر عن الذكر والدعاء حتى مضى أكثر الاجل فسأل الملك العلج عن حال الرجل فسأل العلج ابنته فقالت ما صنعت شيأ هذا رجل فقد اخويه في هذه البلدة واعلل امتناعه من أجل اخويه كلما رأى آثارهما فاستزد الملك في الاجل وابعثني معه الى غير هذه البلدة فاستزاد الملك في الاجل فزاده وأذن له في خروجهما فاخرجهما الى منزل كان فيه اخوة للجارية فمكث على ذلك أياما والفتى على حاله حتى مضى من الاجل أيام فقالت الجارية له في ليلة من الليالي ياهذا اني أراك تعبد ربا عظيما وقد دخلت معك في دينك وتركت النصرانية فلم يثق بذلك منها حتى أعادت عليه فقال لها كيف الحيلة في النجاة مما نحن فيه قالت انا احتال لك فجاءت بدواب فقالت قم بنا نهرب الى بلادك فركبا وكانا يسيران ليلا ويكمنان نهارا فبينماهما يسيران في ليلة اذ سمعت وقع الخيل فقالت أيها الرجل ادع ربك الذي صدقته ان يخلصنا من عدونا فالتفت فاذا هو باخويه ومعهما ملائكة فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا ما كان الا الغطسة التي رأيت حتى خرجنا الى الفردوس ان الله تعالى أرسلنا اليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه ورجعوا ووصلا الى بلاد الشام فكانا مشهورين بذلك معروفين والله أعلم

(الباب الثامن عشر)

(في حكم الغلول وبيان الوعيد الشديد لمن غل)

الغلول هو ما يأخذه أحد الغزاة أو الامير من الغنيمة التي يجب قسمها ولا يأتي به الى متولي القسم وهو حرام وان كان قليلا واجمع العلماء على انه يجب على الغال ان يرد ما غل الى متولي القسم ان لم يفترق الغانمون ووجد السبيل فاذا افترقوا وتعسر الوصول اليهم فقالت جماعة يدفع الخمس للامام ويتصدق بالباقي وان تلف منه ما غله غرم قيمته وان انتفع به فعليه ضمانه حتى يرده وما نقصه الانتفاع واجرة مثله ان كان لمثله اجرة ورخص الامام مالك في الابرة من المغنم وقال أراه خفيفا وقال الامام أحمد ما أصاب في بلاد الروم مما ليس له هنا لك قيمة فلا بأس باخذه وقال الامام الشافعي رضي الله عنهم ذلك محرم ودليله قوله صلى الله عليه وسلم أدوا الخيط والمخيط والنعل يتخذه الرجل من جلود البقر والجراب من الاهاب وقال الامام أحمد في الزيت من زيت الروم اذا كان من صداع أو ضرورة فلا بأس وان كان للتزين فلا يعجبني وقال الامام

الشافعي رضي الله عنه لايعرخ دابته ولايدهن اشعارها من ادهان العدو فان فعل رد قيمة الادوية كلها وقال ابن المنذر اجمع العلماء الا من شذ على ان للقوم اذا دخلوا دار الحرب ان يأكلوا طعام العدو وان يعلفوا دوابهم وأما من طعام باعه أو فضلة طعام يقدم به الى اهله او بجراب او حبل او غير ذلك فهو مردود واما سلاح العدو فرخص في استعماله في معمعة الحرب وفي حال الضرورة ومثله الخيل (قال الله تعالى) ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصاب غنيمة امر بلالا فنادى بالناس فيجيؤن بغنائمهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال يارسول الله هذا كان فيما اصبناه من الغنيمة فقال اسمعت بلالا ينادي ثلاثا قال نعم قال فما منعك ان تجيء به فاعتذر اليه فقال كن انت تجيء به يوم القيامة فلن اقبله منك (وعن زيد بن خالد) رضي الله عنه ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي يوم خيبر فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله تعالى ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لايساوي درهمين (وقال) صلى الله عليه وسلم من كتم غالا فانه مثله (وقال) صلى الله عليه وسلم واما عذاب الذين يغلون فيؤتى بغلولهم يلقى في بحر جهنم ثم يقال لهم غوصوا حتى تخرجوا غلولكم وان غلولهم ينتهي الى قعره ولايعلم قعره الا الذي خلقه قال فيغوصون ماشاء الله ثم يخرجون ليتنفسوا فيبتدر الى كل انسان منهم سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم مقمعة من حديد فيهوي به الى رأسه فذلك عذابهم أبدا (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه (وقال) صلى الله عليه وسلم ان لم تغل امتي لم يقم لهم عدو أبدا

❁(الباب التاسع عشر)❁

(في فضل الشهيد وفي رؤية الحور العين في اليقظة والنوم)

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وفي الحديث) ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله مابال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة يعني ان فتنة القبر انما هي لاختبار ما عند المؤمن من حقيقة الايمان ولاشك ان من وقف للقتال ورأى السيوف تلمع وتقطع والاسنة تبرق وتخرق والسهام تخرق

وترشق والرؤس تندر والدماء تتفجر والاعضاء تتطاير فثبت ولم يدبر وجاد بنفسه ايمانا بوعده يكفيه ذلك فى الامتحان (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الآية ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين اسيافهم حول عرشه فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت ازمتها الدر الابيض برحال الذهب اعنتها السندس والاستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد ابصار الرجال يسيرون فى الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا ننظر كيف يقضى بين خلقه فيضحك الله تعالى اليهم واذا ضحك الله الى عبد فى موطن فلا حساب عليه (وعن جابر) قال رجل يارسول الله أى الجهاد افضل قال ان يعقر جوادك ويهراق دمك (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا التقى الزحفان ونزل الصبر فان القتل اهون على الشهيد من الماء البارد فى اليوم الصائف (وفى الحديث) وان الشهيد لينظر الى ربه عز وجل كل يوم مرتين لايشتاق الى الدنيا ولا يتأسف عليها (وعن جابر) قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر خرجت سرية فاخذوا انسانا معه غنم يرعاها فجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ماشاء الله تعالى ان يكلمه فقال الرجل انى قد آمنت بك وبما جئت به فكيف بالغنم فانها أمانة وانها للناس الشاة والشاتان قال احصب وجوهها ترجع الى اهلها ثم تقدم الى الصف فاصابه سهم فقتله ولم يصل لله سجدة قط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوه الخباء فادخل خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ثم خرج فقال لقد حسن اسلام صاحبكم لقد دخلت عنده وان عنده لزوجتين من الحور العين (وقال) صلى الله عليه وسلم الشهداء ثلاثة رجل خرج بنفسه وماله فى سبيل الله لايريد ان يقتل ولا يقتل يكثر سواد المسلمين فان مات او قتل غفرت ذنوبه كلها واجير من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الاكبر ويزوج من الحور العين ويحلى عليه حلة الكرامة ويوضع على رأسه تاج الوقار والخلد الثانى خرج بنفسه وماله محتسبا يريد ان يقتل ولا يقتل فان مات أو قتل كانت ركبته مع ابراهيم خليل الرحمن بين يدى الله تبارك وتعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر والثالث خرج بنفسه وماله محتسبا يريد ان يقتل ويقتل فان مات أو قتل جاء يوم القيامة شاهرا سيفه واضعه على عاتقه والناس جاثون على الركب يقول ألا افسحوا لنا فانا بذلنا دماءنا وأموالنا لله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو قال ذلك لخليل الرحمن أو لنبى من الانبياء لزحل لهم عن الطريق لما يرى من واجب حقهم حتى يأتوا منابر من نور تحت العرش فيجلسوا عليها ينظرون كيف يقضى بين الناس لايجدون غم الموت

قوله لزحل أى تأخر اه

ولا يغتمون في البرزخ ولا تفزعهم الصيحة ولا يهمهم الحساب ولا الميزان ولا الصراط ينظرون كيف يقضى بين الناس ولا يسألون شيأ الا اعطوا ولا يشفعون في شئ الا شفعوا فيه و يعطون من الجنة ما أحبوا و يتبوؤن من الجنة حيث احبوا (وقال) صلى الله عليه وسلم يؤتى الشهيد بجسد من الجنة كاحسن جسد فيؤمر بروحه فتدخل فيه فهو ينظر الى جسده وكيف يبعث وما يصنع به ومن يتعزن له ومن لا يتعزن ويتكلم فيرى انهم يسمعونه وينظر اليهم فيرى انهم ينظرون اليه ثم تأتيه ازواجه من الحور العين فيذهبن به (وعن أبي الدرداء) رضى الله عنه قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على علقمة اليهودي وهو شاب جميل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا علقمة لو كان مع جمالك اسلام لكمل لك أمرك ألا تتقين النار على حسن صورتك قال فقال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ان اسلمت فمالي قال ازوجك سبعين من الحور العين قال فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة وخرج معه علقمة فقاتل بين يديه حتى استشهد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ابنيا الى خيمة من سعف وقال لا يدخل على احد فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في الخيمة وعليه جبة له فسمع أبو بكر وعمر بجلبة كجلبة الخيل فقام عمر واخذ سيفه فقال له أبو بكر قف يا عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل عليه أحد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انقطعت ازرار جبته وقد شقوها من خلفه فقال هل سمعتم شيأ قال عمر نعم يا رسول الله قد سمعنا جلبة كجلبة الخيل فاخذت سيفي ظننت ان العدو أتاك فخبرني أبو بكر فقال ان تلك الجلبة التي سمعتها الحور العين اقتتلن على حتى أوفيته سبعين حوراء فهن شققن على جبتي (وعن يزيد بن معاوية) قال قال عبد الرحمن بن زيد لرجل ونحن نسير بارض الروم اخبرنا أن صاحبنا الذي رأى في الغيب ما رأى فقال الرجل لعبد الرحمن اخبر أنت فقد سمعت منه الذي سمعت قال عبد الرحمن ابن زيد مررنا بكرم فقلنا له خذ هذه السفرة فاملأها من هذا العنب ثم أدركنا به في المنزل قال فلما دخل الكرم نظر الى امرأة على سرير من ذهب من الحور العين فغض عنها بصره ثم نظر في ناحية الكرم الاخرى فاذا هو باخرى مثلها فغض عنها فقالت له انظر فقد حل لك النظر فاني والتي رأيت زوجتاك من الحور العين وأنت آتينا من يومك هذا فرجع الى أصحابه ولم يأتهم بشئ فقلنا له مالك أجبنت ورأينا به حالا غير الحال التي فارقنا عليها من نور وجهه وحسن حاله فسألناه ما منعك من ذلك فاستعجم علينا حتى اقسمنا عليه فقال اني لما دخلت الكرم رأيت كذا وكذا وقص القصة فما أدري أكان ذلك اسرع أو استنفار الناس للعدو فامرنا انسانا يمسك دابته حتى اسرجنا جميعا

...ة علقمة اليهودي)*

قصة من رأى في ...ظة الحور العين)*

(قصة العيناء المرضية)

ثم ركب وركبنا رجاء أن نصيب الشهادة فتقدم بين أيدينا فكان أول الناس استشهد يومئذ (وعن عبد الواحد بن زيد) قال بينما نحن ذات يوم قد تهيأنا للخروج الى الغزو وامرت اصحابي أن يتهيؤا لقراءة آيتين فقرأ أحدهم في المجلس ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقال غلام سنه نحو خمس عشرة سنة مات أبوه وورثه مالا كثيرا يا عبد الواحد ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت نعم حبيبي فقال اني اشهدك اني بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة فقلت له ان حد السيف شديد وأنت صبي واني أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة وأعجز أنا أشهد الله اني قد بايعته قال عبد الواحد فتقاصرت الينا أنفسنا وقلنا صبي يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله وتصدق به الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا فقال السلام عليك يا عبد الواحد فقلت وعليك السلام ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى دار الروم فبينما نحن كذلك اذ أقبل علينا وهو يقول واشوقاه الى العيناء المرضية فقال أصحابي لعل الغلام اختل عقله فقلت حبيبي وما هي العيناء المرضية فقال اني غفوت غفوة فرأيت كأنه أتاني آت فقال اذهب الى العيناء المرضية فهجم بي على روضة فيها نهر من الماء غير آسن واذا على شط النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا يوصف فلما رأينني استبشرن بي وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت امامي فاذا أنا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأينني استبشرن بي وقلن هذا والله زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن لا وعليك السلام يا ولي الله نحن خدمها واماؤها فتقدم امامك فتقدمت فاذا أنا بنهر من خمر وعلى شطه جوار أنسينني ما خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها واماؤها امض امامك فمضيت فاذا نهر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ما أنساني ما خلفت فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن يا ولي الله نحن خدمها واماؤها فامض امامك فمضيت امامي فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا يوصف فلما رأتني استبشرت ونادت من في الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم فدنوت من الخيمة فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فلما رأيتها افتتنت بها وهي تقول مرحبا بك يا ولي الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتنقها فقالت مهلا

فانه لم يأن لك أن تعانقني فان فيك روح الحياة وأنت تفطر عندنا الليلة ان شاء الله تعالى فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لى عنها قال عبد الواحد فما تم كلامنا حتى ظهرت لنا سرية من العدو فحمل الغلام عليهم فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر رحمة الله عليه فمررت به يتشحط فى دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا (وروى عن رافع بن عبد الله) قال قال لى هشام بن يحيى الكنانى لأحدثنك حديثا رأيته بعينى وشهدته بنفسى ونفعنى الله عز وجل به فعسى الله تعالى أن ينفعك به كما نفعنى قلت حدثنى يا أبا الوليد قال غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثلاثين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد الله ابن الوليد بن عبد الملك وهى الغزوة التى فتح الله عز وجل فيها الطوانة وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة فى موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى الا أن يكون فى جميع الامور بحيث لا يخلى شيأ من عبادته ومارأيته فى ليل ولا نهار الا فى حال اجتهاد فان لم يكن وقت الصلاة أوكنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن قال هشام فادركنى واياه النوبة ذات ليلة فى الحراسة ونحن محاصرون حصنا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد فى تلك الليلة من شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسى وعجبت من قوة جسمه على ذلك وعلمت ان الله يؤتى الفضل من يشاء واصبح كالا من التعب فقلت له يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا ولعينك عليك حقا ولقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكلفوا من العمل ما تطيقون وذكرت له شبه هذا من الاحاديث فقال لى يا أخى انما هى أنفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضى وأنا رجل ارتقب الموت وابادر خروج نفسى فابكانى جوابه ودعوت الله عز وجل له بالعون والتثبيت ثم قلت له نم قليلا تسترح فانك لا تدرى ما يحدث من أمر العدو فان حدث شئ كنت نشيطا فنام الى جانب الخباء وتفرق أصحابنا فمنهم من هو فى القتال ومنهم من هو فى غير ذلك واقمت فى موضعى احرس رحالهم واصلح لهم طعاما فانا كذلك اذ سمعت كلاما فى الخباء فعجبت مع انه ليس فيه غير سعيد نائما وظننت ان احدا دخله ولم أره فدخلت فلم أجد احدا غيره وهو نائم بحاله الا انه يتكلم وهو يضحك فى نومه فاصغيت اليه فحفظت من كلامه ما أحب ان ارجع ثم مد يده اليمنى كانه يأخذ شيأ ثم ردها بلطف وهو يضحك ثم قال فالليلة ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد فاحتضنته الى صدرى مدة وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد له فهمه وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى فقلت له يا أخى ما شأنك فقال خيرا يا أبا الوليد قلت

…ة سعيد بن
…ث مع زوجته
…ادة)*

انى قد رأيت منك شيأ وسمعت منك كلاما فى نومك فحدثنى بما رأيت فقال أو تعفينى من ذلك فذكرته حق الصحبة وقلت حدثنى برحمك الله فعسى الله أن يجعل لى فى ذلك عظة وخيرا فقال انى لساعتى فى وقتى هذا رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج العباد من قبورهم فوقفوا فى موقفهم وشخصوا بابصارهم ينتظرون أمر ربهم فبينما هم كذلك اذ أتانى رجلان لم أر قط مثل صورتهما كمالا وحسنا فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فى حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله تعالى لك من النعيم فانطلقت معهما حتى خرجنا عن جملة أهل الموقف فاذا نحن بذات اليمين بخيل لا تشبه خيلنا هذه انما هى كالبرق الخاطف فركبناها فسارت بنا كهبوب الريح حتى انتهينا الى قصر عظيم لا يقع الطرف على أوله ولا على آخره ولا على ارتفاعه ثم هو مع ذلك كانه صيغ من فضة صافية فهو نور يتلألأ فلما وردنا به انفتح لنا من غير أن نستفتح فدخلنا الى ما لا يبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر واذا فى القصر من الوصف والوصائف كعدد النجوم كانهم كما قال الله تعالى لؤلؤ مكنون فحين رأونى اخذوا فى ألوان من القول الحسن بنغم مختلف وكلهم يخاطبون بكلامهم هذا ولى الله وقد جاء ولى الله ومرحبا بولى الله فسرنا كذلك حتى انتهينا الى مجالس ذات اسرة من ذهب مكللة بالجوهر محفوفة بكراسى من ذهب واذا على كل سرير منها جارية لا يستطيع أحد من خلق الله وصفها وفى وسطهن واحدة عالية عليهن فى طولها وتمامها وجمالها وكمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وههنا مقيلك ومالك عند ربك من الرضوان اكبر وانصرفا عنى ووثب الجوارى نحوى بالترحيب والتعظيم والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهم وحملنى حتى اجلسنى على السرير الاوسط الى جانب تلك الجارية وقلن لى هذه زوجتك ولك مثلها معها وقد طال انتظارنا اياك فكلمتنى وكلمتها فقلت لها أين أنا قالت فى جنة المأوى فقلت من أنت قالت أنا زوجتك الخالدة فقلت فاين الاخرى قالت فى قصرك الآخر فقلت انى أقيم عندك اليوم واتحول الى تلك فى غد ومددت يدى اليها فردتها بلطف وقالت اما اليوم فلا انك راجع الى الدنيا فقلت ما أحب ان أرجع فقالت لابد من ذلك وستقيم ثلاثا ثم تفطر عندنا فى الليلة الثالثة ان شاء الله تعالى فقلت فالليلة الليلة قالت انه كان أمرا مقضيا ثم نهضت عن مجلسها فوثبت لقيامها فاذا أنا قد استيقظت قال هشام فقلت يا أخى أحمد لله شكرا فقد كشف لك عن ثواب عملك فقال لى هل رأى احد غيرك مثل ما رأيت منى فقلت لا فقال أسألك بالله عز وجل الا سترت على ما دمت حيا فقلت نعم

فقال ما فعل أصحابنا فقلت بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومس طيبا واخذ سلاحه وسار الى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل وانصرف أصحابه وهو فيهم فقالوا لي يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيأ ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه فقلت في نفسي لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه قال وافطر على شيء من الطعام وبات ليلته قائما واصبح صائما فصنع كصنيعه بالامس وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثل ما ذكروه بالامس حتى اذا كان اليوم الثالث وقد مضت الليلتان انطلقت معه وقلت لابد أن اشهد امره وما يكون منه فلم يزل يلقي نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل اليه شيء وهو يؤثر فيهم الآثار وأنا أرعاه من بعيد لا استطيع الدنو منه حتى اذا نزلت الشمس للغروب وهو انشط ما كان فاذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعا وانا انظر اليه فصحت بالناس فابتدروه واخذوه وبه رمق وجاؤا به يحملونه فلما رأيته قلت له هنيأ لك بما تفطر عليه الليلة ياليتني كنت معك فعض شفته السفلى وأومأ الي بصره وهو يضحك يعني اكتم امري حتى اموت ثم قال الحمد لله الذي صدقنا وعده فوالله ما تكلم بشيء غيرها ثم قضى رحمة الله عليه قال هشام فقلت بأعلى صوتي يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون اسمعوا ما اخبركم به عن اخيكم هذا فاجتمع الناس الي فحدثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط اكثر من تلك الساعة باكيا ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وجعل الناس يخبر بعضهم بعضا وذاع الحديث في جميعهم واقبلوا للصلاة عليه وبلغ مسلمة بن عبد الملك فاقبل وقد وضعناه لنصلي عليه فلما حضر قلنا ان رأى الامير اصلحه الله تعالى ان يصلي عليه فقال بل يصلي صاحبه الذي عرف من امره ما عرف قال هشام فصليت عليه ودفناه في موضعه وعمينا اثر القبر وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضا ثم اصبحوا فنهضوا الى الحصن بنيات مجددة وقلوب مشتاقة الى لقاء الله عز وجل فما اضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله تعالى (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وانهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل فتأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت فيقولون أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق امانيهم ثم يبعث الله تعالى ريحا غير مؤذية فتكشف كثبانا من مسك عن ايمانهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي معارفها وفي رؤسهم ولكل رجل منهم جمة ٣ على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في تلك

ذكر شيء من نعيم اهل [الج]نة *

قوله جمة بضم الجيم [وتش]ديد الميم أي شعر [الر]أس اه

الجمام وفى الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا الى ماشاء الله تعالى فاذا المرأة تنادى بعض أولئك ياعبد الله أمالك فينا حاجة فيقول من انت وما انت فتقول انا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك فتقول المرأة وما تعلم ان الله تعالى قال فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فيقول بلى وربى فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف اربعين خريفا لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها الا ما هو فيه من النعيم والكرامة (وقال صلى الله عليه وسلم) الا اخبركم باسفل اهل الجنة درجة قالوا بلى يارسول الله قال رجل يدخل من باب الجنة فيتلقاه غلمانه فيقولون مرحبا بسيدنا قد آن لك ان تزورنا قال فتمد له الزرابى اربعين سنة ثم ينظر عن يمينه وشماله فيرى الجنان فيقول لمن ماههنا فيقال لك حتى اذا انتهى رفعت له ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء لها سبعون شعبا فى كل شعب سبعون غرفة فى كل غرفة سبعون بابا فيقال اقرأ وارق فيقرأ حتى اذا انتهى الى سرير ملكه اتكأ عليه سعته ميل فى ميل له فيه فضول ويسعى اليه بسبعين صحفة من ذهب ليس فى صحفة منها لون من لون اختها يجد لذة آخرها كما يجد لذة أولها ثم يسعى اليه بالوان الاشربة فيشرب منها ما اشتهى ثم يقول الغلمان اتركوه وازواجه فينطلق الغلمان ثم ينظر فاذا حوراء من الحور العين جالسة على سرير ملكها عليها سبعون حلة ليس منها حلة من لون صاحبتها فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم والكسوة فوق ذلك فينظر فيقول من أنت فتقول أنا من الحور العين من اللاتى خبئن لك فينظر اليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها ثم يرفع بصره الى الغرفة فاذا أخرى أجمل منها فتقول ما آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيرتقى اليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها ثم اذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا ان لا نعيم أفضل منه يتجلى لهم الرب تبارك اسمه فينظرون الى وجه الرحمن عز وجل فيقول يا أهل الجنة هللونى فيتجاوبون بتهليل الرحمن ثم يقول ياداود قم فمجدنى كما كنت تمجدنى فى الدنيا فيمجد داود ربه (وقال) صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وسروره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية والاحاديث فى ذلك اكثر من أن تحصر واشهر من أن تذكر واذا كان هذا لأدنى أهل الجنة فكيف بالشهداء

(بيان حظ أقل أهل الجنة منها)

(قوله فتمد له) أى تفرش وقوله الزرابى بفتح الزاى جمع زربية بفتح الزاى وكسرها مع سكون الراء وكسر الباء وتشديد الياء وهى البساط الواسع العظيم اهـ

(فائدة) اختلف العلماء فى غسل الشهيد والصلاة عليه فذهب الاربعة والثورى واسحق والاوزاعى وداود بن على وغيرهم الى أن القتيل فى الجهاد لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم فى قتلى أحد ادفنوهم فى دمائهم ولم يغسلهم وحكمته ان دماءهم تأتى يوم القيامة كريح المسك كما فى الحديث واما الصلاة عليهم فذهب مالك والشافعى وأحمد الى أنه لا يصلى عليهم وقال

(حكم غسل الشهيد والصلاة عليه)

فقهاء الكوفة والبصرة والشام يصلى عليهم (أقول) ويوافقهم مامر فى حكاية سعيد بن حرث من انهم صلوا عليه

(الباب الحادى والعشرون)

(فى فداء أسرى المسلمين والنفير لاستنقاذهم)

قال الله تعالى ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا (وقال تعالى) وان يأتوكم أسارى تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم (وقال) صلى الله عليه وسلم فكوا العانى فمن هذا كله يؤخذ وجوب مفاداة الاسرى على جماعة المسلمين وان كان فيه تلف النفوس لكن ان أمكن ببذل الاموال كان أحب لانها أهون من النفوس وكذلك يجب على المسلمين مواساتهم فان كان الاسير غنيا رجع عليه الغازى على الاصح من قولين للعلماء (وقال) صلى الله عليه وسلم من فدى اسيرا فأنا ذلك الاسير (وقال) عمر رضى الله عنه لان استنقذ رجلا من المسلمين من أيدى الاعداء أحب الى من جزيرة العرب والسعى فى استنقاذهم ومواساتهم لم يزل من همم رؤساء الملة الحنيفية (فمن ذلك) ماروى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى أسرى المسلمين بالقسطنطينية اما بعد فانكم تعدون أنفسكم الاسارى ومعاذ الله بل أنتم الحبساء فى سبيل الله تعالى واعلموا انى لست أقسم شيأ بين رعيتى الا خصصت أهلكم بأكثر ذلك واطيبه وانى قد بعثت اليكم فلان بن فلان بخمسة دنانير خمسة دنانير ولولا انى خشيت ان يحبسها عنكم طاغية الروم لزدتكم وقد بعثت اليكم فلان بن فلان يفادى صغيركم وكبيركم وذكركم وانثاكم وحركم وعبدكم بما يسأل به فأبشروا ثم ابشروا والسلام (ومن ذلك) ان بعض الملوك عاهد الاعداء على ان لا يحبسوا أسيرا فدخل رجل من المسلمين فى بلادهم فمر على بيت مغلق فنادته منه امرأة انى أسيرة فأبلغ صاحبك خبرى فلما اجتمع به وتحادثا وانتهى الحديث الى هذه المرأة فما تم حديثه حتى قام الامير على قدميه وخرج غازيا من فوره ومشى الى الثغر لاخراج الاسيرة واستولى على الموضع (ومن ذلك) ماحكى ان المنصور بن أبى عامر ولم يكن فيمن ملك الاندلس مثله غزا نيفا وخمسين غزوة منها غزوة كان فى موضع ضيق بين جبلين لا يجوزه الا فارس بعد فارس واجتمعت الروم فى أمم لا تحصى ووقفوا له فى موضع الخروج فلما علم بذلك أمر بنصب الخيام وبناء الدور واختط لنفسه قصرا وأمر سائر خواصه بذلك وكتب الى نوابه انى لما رأيت هذه البلاد استقصرت رأى من سلف من

(قوله العانى) اى الاسير

(قصة المنصور بن أبى عامر فى استنقاذ أسير)*

الملوك

الملوك والخلفاء كيف تركوها مع عظم أمرها وجلالة قدرها وقد استحضرت الله تعالى في الاقامة بها وان اتخذ مدينة واسكنها وأمر بارسال البنائين والفعلة فلما تحققت الروم ذلك سألوه في الصلح فابى فألحوا عليه فقال لا افعل الا ان تعطوني ابنة ملككم فقالوا هذا عار ما سمعنا بمثله فاجتمعوا في عدد عظيم وكان هو في عشر ين ألف فارس فلما التقوا انهزم المسلمون وانكسر ولده وكاتبه ونفر يسير قام بنصب خيمة على أرض مرتفعة فتراجع المسلمون اليهم وقاتلوهم فكانت النصرة للمسلمين فقتل وأسر فسألوه الصلح فابى الا ان يعطوه ابنة ملكهم وأموال اصرفها فاعطوه ذلك مع تحف كثيرة وكانت البنت في نهاية الجمال فلما شيعها اشراف قومها سألوها ان تحسن الواسطة لقومها عنده فقالت ان الجاه لا يطلب باتخاذ النساء انما يطلب برماح الرجال ولما رجع المنصور و وصل الى مدينته تلقته امرأة فقالت أنت والناس تفرحون وأنا باكية حزينة قال ولم قالت ولدي أسير في بلد كذا من بلاد الروم فسير العساكر لوقته راجعة الى البلاد حتى احضروا ولدها *(ومن لطائف هذا الباب)* ان علجا من أعلاج الفرنج لطم امرأة أسيرة في عمورية في خلافة المعتصم فقالت وامعتصماه فقال لها العلج لا يجيء المعتصم الا على فرس أبلق فلما بلغ المعتصم ذلك سير في سائر الجهات من يأتيه بالخيل البلق و بذل فيها الاموال الجزيلة والخلع النفيسة حتى كمل له ثمانية عشر الفا وقيل ثمانون ألفا وسار اليها بقوة العزم وصدق النية والغيرة على دين الله تعالى ففتحها الله عز وجل على يده ولم تكن فتحت قبل ذلك وسبى وقتل وأحرقها بالنار وأحرق جمعا كثيرا وأحضر العلج والمرأة بين يديه وهو راكب على فرس ابلق وقال له قد جئتك على فرس ابلق فهكذا فليكن اعزاز الدين وقد أشار الى هذه الوقعة أبو تمام الطائي في قصيدته المشهورة وما ألطف قوله فيها

(قصة فتح المعتصم عمورية)

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على * بان باهل ولم تغرب على عزب

(ويشبه هذا ما حكي) انه أسر رجل قرشي في زمن معاوية رضي الله عنه وادخل القسطنطينية فتكلم بين يدي ملكهم بكلام فلطمه أحد البطارقة فقال الاسير بيننا و بينك الله يا معاوية وليت أمورنا فضيعتها فبلغ معاوية كلامه فسير وافتداه فلما اتاه سأله عن اسم البطريق فاخبره فافكر طويلا ثم نفذ خلف قائد من قواده صورذي خبرة ومعرفة وقال أريد منك ان تتحيل في احضار فلان البطريق من القسطنطينية فقال أريد ان انشئ مركبا بمجاذيف مخفية لحق ولا يلحق فقال له افعل ما بدالك ومكنه من كل ما يحتاج اليه فلما كملت ملأها من كل طرفة وتحفة وأعطاه أموالا جزيلة وقال اذهب الى القسطنطينية كانك تاجر فبع واشتر وأهد لوزير الملك و بطارقته وخاصته خلا ذلك

(قصة معاوية رضي الله عنه في استنقاذ أسير لطمه بطريق في القسطنطينية)

البطريق فلا تقربه ولا تهاده فاذا عتبك على ذلك فقل له ما عرفتك ولكن سأضعف لك فى عودتى فانه لم يبق معى ما يصلح الملك ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية واخبره بما صنع فجهزه ثانية وأعطاه اضعاف ذلك وقال هـذا أيضا للملك وسائر خواصه ولذلك البطريق فاذا عزمت على الحضور الينا فقل لذلك البطريق انى أحب ان أصادقك و يكون بينى و بينك معرفة فسلنى حاجة أحضرها لك على حسب ما تقترحـه و يكون عوضا عما قصرت فى حقك فحضر بالتحف وفرقها ولما أراد الرجوع قال له كما أخبره معاوية فقال أريد بساطا من حرير يحوى جميع الالوان وصور سائر الاطيار والاشجار والازهار والوحوش طوله كذا وعرضه كذا فلما رجع وأخبر معاوية جمع له سائر الصناع فكمل فى أبدع صورة يدهش الناظرين وجهز معـه كل ما يحتاج اليه وقال له اذا وصلت الى فم البحر فانشر البساط على ظهر المركب فـيحمله الشره على ان ينزل اليك فاذا نزل وصار عندك فشاغله بالحديث واعرض عليه البساط وقدم له غير ذلك من التحف ومر أصحاب المركب ان يقذفوا بالمجاذيف المخفية فاذا صرت فى البحر فارفع الشراع واوثقه ومن معـه كتافا واتت بهم وكان للعلج بستان على فم البحر فلما بلغه وصول المركب أشرف لينظر اليها فلما رأى البساط كاد عقله يذهب فخرج مسرعا الى لقائه فنزل اليه فعرضه عليه مع غيره وأصحابه يقذفون ولا علم له فما شعر الا برفع الشراع فقال ما هذا فقبض عليـه واثقله بالحديد وسائر أصحابه فاتى به الى معاوية فاحضر القرشى وقال هذا خصمك قال نعم قال قم فالطمه كما لطمك ولا تزد ففعـل ذلك ثم قال لصاحب المركب خذه واذهب به الى الموضع الذى اخذته منه وأعطه ذلك البساط وغيره وقال له قل للملك تركت ملك المسلمين يقتص ممن هو على بساطك ومن خواصـك وبطارقتك فلما أوصـلوه الى القسطنطينية وجدوهم قد اتخذوا على فم البحر سلاسـل فرموه هنالك وأعطوه البساط فهاب ملك الروم معاوية وعظمه وهاداه (وذكر العماد الكاتب) ان السلطان صلاح الدين خلص من الاسرى فى وقعة حطين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أكثر من عشرين ألف أسير وأسر من الاعداء مائة ألف أسير والله أعلم

(الباب العشرون)

(فى الاشارة الى المغازى والسرايا النبوية وذكر بعض مغازى المسلمين وفتوحاتهم الاسلامية)

كانت غزواته صلى الله عليه وسلم التى خرج فيها بنفسه الشريفة سبعا وعشرين غزوة وقيـل خمسا وعشرين وقيل احـدى وعشرين وقيـل تسعة عشر وكانت سراياه التى

بعث

(غزوة بدر الكبرى)

بعث بها ستا أو ثلاثين وقيل غير ذلك *(فمن غزواته صلى الله عليه وسلم) غزوة بدر الكبرى وحاصلها ما روى ان عاتكة بنت عبد المطلب رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخي لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتني وخفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم ما احدثك فقال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح وصرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على ظهر جبل أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة قال العباس والله ان هذه لرؤيا عجيبة فاكتميها ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا له فذكرها له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث بين قريش قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل في جماعة من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال لي اذا فرغت من طوافك فتعال فلما فرغت جئت فجلست معهم فقال لي أبو جهل متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وماذا قال رؤيا عاتكة فقلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما كفاكم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا الى مصارعكم في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان كان حقا فسيقع وان انقضت الثلاث ولم يقع شئ نكتب عليكم كتابا انكم اكذب أهل بيت في مكة قال العباس فما امكنني الا جحد ذلك وانكار أن تكون عاتكة رأت شيأ ثم تفرقنا فلما امسيت لم يبق امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني وقالت يقع هذا الخبيث في اعراض نسائكم ورجالكم وتسكتون عليه من غير غيرة على ذلك فقلت اهن فعلت والله معه ما اقدر عليه والله لأتعرضن له فان عاد فلأقتصن منه فغدوت في اليوم الثالث من الرؤيا وانا حديد مغضب قاصدا تدارك ما فاتني من الانتقام منه فدخلت المسجد متوجها اليه فخرج نحو باب المسجد متعجلا فقلت في نفسي ماله لعنه الله أكل هذا فرارمني ان اشاتمه واذا هو قد سمع مالم اسمع سمع صوت ضمضم الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد حول رحله وجدع انفه وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد تعرض لها محمد واصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشغله عني وشغلني عنه ما جاء من الامر فتجهز الناس سراعا وقالوا ايظن محمد واصحابه ان تكون كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك فانقسموا قسمين

قوله كعير بكسر العين وهي القافلة اه

قسم خرج بنفسه وقسم بعث مكانه غيره فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا معهم مائة فرس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم سبعون بعيرا فأتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال وأحسن ثم عمر رضى الله عنه كذلك ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه فقال يارسول الله امض لما أمرك الله تعالى فنحن معك والله لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على فقال عمر يارسول الله انها قريش وعيرها فوالله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فاتهب لذلك أهبته وأعدد لذلك عدته فقال سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يارسول الله فقال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وماتخلف منا رجل واحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله تعالى يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر النبى صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء ادنى ماء من بدر فنزل به قال الحباب بن المنذر يارسول الله اهذا المنزل امرك الله به لانتعداه ام هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأى والحرب والمكيدة قال يارسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ماوراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولايشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه حتى اتى ادنى ماء من القوم فنزلوا عليه وامر بالقلب فغورت وبنى حوض على القليب الذى نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية ثم ان قريشا ارتحلت حتى اصبحت فأقبلت فلما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا احزر لنا اصحاب محمد فجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ولكن أنظرونى حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فمشى فى الوادى حتى ابعد فرجع اليهم فقال لم ارشيأ ولكنى رأيت ياقريش البولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما ارى يقتل

[Margin notes:]

قوله برك الغماد هو مدينة الحبشة اه

قوله القلب بضم القاف واللام جمع قليب وهو البئر غير المبنية اه

منهم

منهم رجل حتى يقتل منكم رجل فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فانظروا فى أمركم فقام عامر بن الحضرمى ثم صرخ واعمراه فحميت الحرب وطال الامر وخرج الاسود المخزومى وكان شرسا سيئ الخلق فقال اعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم جاء الى الحوض حتى اقتحم فيه يزعم ان تبر يمينه وتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فدعوا الى المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحرث ورجل آخر فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث وقم يا حمزة وقم يا على فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا انتم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله واما على فلم يمهل الوليد ان قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر على وحمزة باسيافهما على عتبة فذففاه واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه ثم تراجع الناس ودنا بعضهم من بعض ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل الصفوف ورجع الى العريش فدخله ومعه أبو بكر فقط ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد وأبو بكر رضى الله عنه يقول كفاك مناشدتك ربك فان الله تعالى منجز لك ما وعدك وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش خفقة ثم انتبه فقال أبشر يا ابا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع وجاءت ريح لم يروا مثلها شدة ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى وكانت الاولى جبريل فى ألف من الملائكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة اسرافيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها ثم أمر اصحابه فقال شدوا فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من أشرافهم وفائدة كثرة الملائكة تسكين قلوب المؤمنين وبيان كرامة النبى صلى الله عليه وسلم على ربه والا فواحد يهزم الخلق كلهم ويقتلهم ولان الله تعالى جعل أولئك الملائكة مجاهدين الى يوم القيامة فكل عسكر صبر واحتسب تأتيهم الملائكة يقاتلون

(قوله فذففاه) أى أكملا قتله اه

معهم وجعلهم الله تعالى من أفضل الملائكة كما جعل أهل بدر من أفضل المسلمين وكان يعرف قتيل الملائكة بسواد محل ضربهم كحرق النار قال سهل بن حنيف لقد رأيتنا يوم بدر وأحد نايشير بسيفه الى رأس الرجل من العدو فيقع عن جسده وعن ابن عباس رضي الله عنهما بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من الاعداء امامه اذ سمع بصوت فوقه يقول اقدم حيزوم فنظر الى الرجل امامه قد خر مستلقيا فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الرابعة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين الحديث (ومنها غزوة أحد) تعبا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل وليس معهم الا فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابى بردة وأعداؤه فى أربعة آلاف فيهم سبعمائة بعير ومائتا فرس فلما التقوا صاح من الاعداء طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء من يبارز فبرز له على رضي الله عنه فقتله على ثم حمل لواءهم عثمان ابن أبي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم حمله سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فاصاب حنجرته فقتله ثم حمله شافع بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله ثم حمله الحرث بن طلحة فرماه عاصم فقتله ثم حمله كلاب بن طلحة فقتله الزبير بن العوام ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله ارطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبي طالب ثم حمله شريح بن قارط فلسنا ندرى من قتله ثم ان اللواء لم يزل مطروحا حتى اخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به وكان آخر من أخذ اللواء منهم صواب فقاتل به حتى قطعت يداه ثم نزل عليه فاخذه بصدره وعنقه حتى قتل عليه فلما قتل اصحاب اللواء انهزم الاعداء فولوا الا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاؤا حتى طردوهم عن المعسكر ووقفوا ينتهبون ما فيه من الغنائم واختلف الرماة فقال بعضهم قد انهزم اعداؤنا فامقامنا ههنا وانطلقوا ينتهبون وتركوا المكان الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوقوف فيه فكر خالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل وكانا اذ ذاك لم يسلما ومعهما طائفة من قومهما فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم ونادى ابليس ان محمدا قد قتل واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى الاعداء بشعارهم بالعزى بالهبل فاوقعوا فى المسلمين قتلا ذريعا وولى منهم من ولى يومئذ وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يومئذ قد ظاهر بين درعين متقلدا سيفا مكتوبا عليه

فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

(غزوة أحد)

(٣) قوله صارت شظايا أى تكسرت قطعا اه

(غزوة الخندق)

ومازال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا (٣) ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثناعشر رجلا وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله تعالى فيه من أكرم بالشهادة (ومنها غزوة الخندق) وهى غزوة الاحزاب خرجت قريش وقائدها ابوسفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصن فى بنى فزارة والحرث بن عوف المرى فى بنى مرة ومسعر بن رحلة فيمن تابعه من اشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اجمعوا له من الامر استشار اصحابه فقال سلمان الفارسى رضى الله عنه انا بارض فارس اذا تخوفنا العدو خندقنا حولنا فشرعوا فيه وكمل فى ستة ايام وقيل فى بضع عشرة ليلة وقيل اكثر ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت هؤلاء الاحزاب فى عشرة آلاف فنزلت قريش بمجتمع الاسيال وغطفان ومن تابعهم الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة آلاف وجعلوا ظهورهم الى سلع فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحزاب بضعا وعشرين ليلة لم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصى وبارز على رضى الله عنه عمرو بن ود وكان عمره تسعين سنة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يقاسون الشدة بمظاهرة عدوهم واتيانهم لهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيما الاشجعى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بماشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل واحد فخذل ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم الى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم قالوا نعم صدقت لست عندنا بمتهم فقال ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم البلد بلدكم وبه أموالكم ونساؤكم لاتقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ساعدتموهم عليه وبلادهم واموالهم ونساؤهم بغيره فان رأوا فرصة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على قتال محمد فقالوا لقد اشرت بالرأى ثم خرج الى قريش فقال لابى سفيان ومن معه قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وقد بلغنى امر أريد أن ابلغكموه نصحا لكم فاكتموه عنى قالوا نفعل قال اعلموا ان يهود قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود تلتمس رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج الى غطفان فقال لهم انكم اصلى

وعشيرتي واحب الناس الى ولا أظنكم تتهمونني قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ما قال لقريش فلما جاءت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ما كان ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاستعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما حصل لمن تعدى من آبائنا فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فرجع الرسول واخبرهم بذلك فقالوا صدقنا والله نعيم بن مسعود فردوا اليهم الرسول وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا بنا ان شئتم والا فلا عهد بيننا وبينكم فقال بنو قريظة صدق والله نعيم فاختلفت كلمتهم وبعث الله ريحا شديدة فى ليال باردة فقلبت آنيتهم وكفأت قدورهم وهدمت خيامهم ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف كلمتهم ارسل اليهم حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم فتزيا بزيهم ودخل فيهم فسمع أبا سفيان يقول يامعشر قريش ليتعرف كل منكم جليسه فاسرع حذيفة فاخذ بيد جليسه وقال من أنت قال أنا فلان ثم قال ابو سفيان يامعشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم قال حذيفة ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلى فاخبرته فحمد الله وسمعت غطفان بما صنعت قريش فذهبوا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وفيما بين ذلك وبعده غزوات مبسوطة فى كتب السير والتواريخ (ومن سراياه صلى الله عليه وسلم سرية زيد بن حارثة) وهى غزوة مؤتة وسببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حرث بن عمرو الاسدى بكتابه الى ملك الروم وقيل الى ملك بصرى فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فاوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فبلغه ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى ثلاثة آلاف من المسلمين الى أرض البلقاء من اطراف الشام وقال ان اصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس فان اصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فتهيأ الناس للخروج ومضوا حتى نزلوا معان من ارض الشام فبلغهم ان هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف رومى وانضم اليه من لخم وجذام وبهرا وبلى مائة ألف فاقام المسلمون على معان ليلتين يتدبرون فى أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاما أن يمدنا بالرجال واما ان يأمرنا بامر فنمضى له فقال ابن رواحة تشجيعا للناس ان الذى تكرهون هو الذى خرجتم له طلب الشهادة وما

*سرية زيد بن حارثة)

نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى اكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة فمضوا حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم تلك الجموع بقرية من قراها يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية تسمى مؤتة فالتقى الناس عندها فتعبى لهم المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يسمى قطبة بن قتادة وعلى ميسرتهم رجلا من الانصار يسمى عباية بن مالك ثم التقى الفريقان فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى الرماح فقتل ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا الجمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل حتى قتل وكان يقول وهو يقاتل بعد عقرها

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * على ان لاقيتها ضرابها

ثم اخذ الراية ابن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه مع تردد ثم قال

اقسمت بالله لتنزلنه * لتنزلن أو لتكرهنه
اذ أجلب الناس وشدوا الرنه * مالى أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة فى شنه

(وقال ايضا)

يا نفس الا تقتلى تموتى * هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد اعطيت * ان تفعلى فعلهما هديت
* وان تأخرت فقد شقيت *

قوله فعلهما أى فعل صاحبيه وهما زيد بن حارثة وجعفر اه

ثم نزل وقاتل حتى قتل رضى الله عنهم اجمعين ثم أخذ الراية برأى اصحابه خالد بن الوليد فقاتل حتى انقطعت فى يده تسعة اسياف ولم يبق معه الا صفيحة يمانية فهزم الله تعالى العدو واظهر المسلمين (ومنها سرية غالب بن عبد الله الليثى) قال جندب بن بكيث الجهنى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وكنت معهم وامرهم صلى الله عليه وسلم ان يشنوا الغارة على بنى الملوح بالكديد فسرنا حتى وصلنا الى الكديد عند غروب الشمس فكمنا فى ناحية الوادى وبعثنى اصحابى طليعة فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا يطلعنى عليهم فعلوت على رأسه ثم اضطجعت عليه فخرج رجل منهم من خباء له فقال لامرأته انى لارى على هذا التل سوادا ما رأيته قبل هذه المرة فانظرى الى أوعيتك لعل الكلاب جرت منها شيأ فنظرت فقالت لا افقد شيأ من أوعيتى فقال

(سرية غالب بن عبد الله الليثى)

ناولني قوسي ونبلي فناولته قوسه وسهمين فرمى سهما فوالله ما أخطأ بين عيني فانتزعته وثبت مكاني ثم رمى سهما آخر فوضعه في منكبي فانتزعته وثبت مكاني فقال لامرأته والله لو كانت ربيئة لتحركت والله لقد خالطه سهماي فاذا اصبحت فانظريهما فلما ابوا واطمأنوا وناموا شننا عليهم الغارة وسقنا نعمهم فخرج صريخهم في قومهم فجاء مالا طاقة لنا به من الاعداء فأدركونا حتى لم يكن بيننا وبينهم الا الوادي فجاء الله تعالى بوقاية ولطفه الخفي بنا واذا الوادي ممتلئ ماء والله ما رأينا يومئذ سحابة ولا مطرا فرأيتهم واقفين ينظرون الينا ولا يستطيعون ان يسعوا خلفنا بسبب ذلك الماء وفيما بين ذلك وبعده سرايا مبسوطة في السير النبوية (ولما) كانت النفوس البشرية مجبولة على المشاكلة والمحاكاة لبعضها الكن دواعي الكسل وحب الدعة والراحة يعوقها عن ذلك أردنا أن نتعرض مع الايجاز لما وقع بعده صلى الله عليه وسلم من الصحابة ومن بعدهم من الفتوحات الربانية والهمم الاسلامية لترجع بمطالعة ذلك النفوس الى ما جبلت عليه من التشبه بأمثالها فنقول * لما تولى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضى الله عنه نهض لقتال من ارتد من العرب ووجه خالد بن الوليد الى طليحة الاسدى فانتصر عليه واسلم طليحة ثم الى مسيلمة الكذاب وكان قد ادعى النبوة باليمامة فقاتله وقتله وفي خلافته فتح الله على المسلمين بصرى فكانت أول ما فتح من بلاد الشام * وفي السنة الرابعة عشرة فتحت دمشق على يد أبي عبيدة وخالد بن الوليد * وفي التي تليها كانت وقعة القادسية كان أميرها سعد بن أبي وقاص فيما بين السبعة والثمانية آلاف وكان رئيس الاعداء رستم في ستين الفا ومعهم سبعون فيلا فقتل رستم وغنم المسلمون غنائم عظيمة فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا وكان في الغنيمة بساط ستون في ستين فيه طرق كالصور وفصوص كالانهار وحافاته كالارض المزروعة وأرضه كالبقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قصبات الذهب ونواره بالذهب والفضة فطيب سعد نفوس المسلمين عن اربعة اخماسه وأرسله لعمر رضى الله عنه فقطعه وقسمه بين الناس فأصاب عليا رضى الله تعالى قطعة فباعها بعشرين ألفا * وفي السنة السادسة عشرة كانت وقعة جلولاء قتل فيها من الفرس مائة ألف وأصاب المسلمون اموالا عظيمة وسبايا وبلغت الغنائم ثلاثين ألفا واستولى المسلمون في ثلاثة اعوام على كرسي مملكة كسرى وغنموا من الذهب والجواهر والحرير والرقيق والمدائن والقصور مالم يسمع بمثله * وفي سنة ثلاث وتسعين سار قتيبة بن مسلم الى سمرقند بغتة في جيش عظيم فلما كها فاستنجد اهلها بملك الشاس وفرغانة فنجدوهم ونهضوا ليسبوا المسلمين فعلم قتيبة فانتخب فرسانا مع صالح بن مسلم وأكمنهم على جنبي

طريق الترك فاتوا نصف الليل فخرج الكمين عليهم فاقتتلوا اقتالالم ير الناس مثله ولم ينج من الترك الا اليسير وقال بعض الاسرى ما قتلتم منا الا ابن ملك أو بطلا عظيما قال بعض من شهد هذه الوقعة فاحتززنا الرؤس وحوينا السلب والامتعة العظيمة واصبحنا الى قتيبة فنفلنا ذلك كله اليه ثم جد فى قتال أهل السغد فصالحوه على مائة الف رأس وعلى بيوت النيران وحلية الاصنام فسلبت واحضرت بين يديه فكانت كالقصر العظيم فامر بتحريق الاصنام فقالوا من حرقها هلك فقال قتيبة أنا احرقها بيدى فدعا بالنار وكبر واشعل فيها بيده فوجدوا بعد الحريق من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين الف مثقال * وفى سنة خمس وتسعين توجه موسى بن نصير الى مصر وتوجه الى الوليد بما معه من السبى والغنائم بعد ان افتتح الاندلس وجاءه بعد فتحها رجل فقال ابعث معى ادلك على كنز فبعث معه فقال لهم انزعوا ما ههنا فنزعوا فسال عليهم من الياقوت والزبرجد ما بهتهم ثم رجع الى افريقية وهو يجر الدنيا بين يديه من أوقار الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة ومائدة سليمان قومت بمائة الف دينار وغضب عليه سليمان بن عبد الملك مرة فصالحه على الف الف دينار فقال يزيد لموسى عند ذلك كم تعد من موالك واهل بيتك قال كثير فقال يزيد يكونون ألفا قال والف الف فقال يزيد وأنت على هذا مع كبر سنك وتلقى بيدك الى التهلكة أفلا اقمت فى قرار عزك وسلطانك فان اعطيت الرضا والا فانت على عزك قال لو أردت ذلك لصار ولكنى آثرت الله عز وجل ولم ارد الخروج عن طاعة الخليفة * وفى سنة اثنتين واربعين ومائة نقض ملك طبرستان العهد وقتل من فى بلاده من المسلمين فانتدب له خازم بن خزيمة وابو الخصيب مرزوق وغيرهما فحاصروه فى قلعته وطال الحصار فاحتال مرزوق فقال لاصحابه اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ففعلوا ذلك فلحق بالملك ففتح له فدخل اليه وقال له انما فعلوا بى ما رأيت تهمة منهم لى بان هواى معك واخبر بانه معه وانه يدله على عورة العسكر فوثق به وقربه وكان باب قلعته حجرا فلم يزل يظهر له النصيحة وهو يغتر بذلك الى ان جعله احد من يتولى امر الباب فرأى منه ما يحب ثم ارسل مرزوق فى نشابة الى العسكر ووعدهم ليلة معينة فى فتح باب الحصن ثم فعل ذلك ودخلوا فقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم فمص الملك سما فى خاتمه فهلك * وفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة توجه عبد المؤمن الى بلاد افريقية فى مائة الف فارس محصاة فى ديوانه ومعهم من السوقة والصناع والاتباع اضعافهم مرارا وكانت خيامهم واسواقهم مسافة فرسخين وكلهم يصلون الخمس وراء امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف احد عن الصلاة اذا قامت كائنا من كان من اصناف الجيش والسوقة

قوله من أوقار اى من احمال اهـ

وغيرهم ومع كثرتهم كانوا يمشون بين الزرع في الطرق الضيقة فلا يكسرون سنبلة ولا يطؤنها من هيبة الامير فنازلها واخذها * وفي سنة تسع وستين وخمسمائة نازلت الفرنج الاسكندرية بغتة وكان معهم ألف وخمسمائة قوس وكانوا ثلاثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل(١) وكان معهم مائتا شونة(٣) وست سفن كبار واربعون مركبا برسم حربهم اهل الثغر فهجموا على المسلمين هجمة أوصلتهم الى السور فقتل من المسلمين فوق المائتين فلما اصبحوا زحفوا على الاسكندرية ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها (٤) وهي كالابراج وثلاثة مجانيق تضرب بحجارة سود استصحبوها من صقلية وزحفوا الى أن قاربوا السور فرأى الفرنج من شجاعة أهل الاسكندرية ما راعهم وأرسلت للملك صلاح الدين وهو نازل على فاقوس تخبره بذلك فبادر بالجيش واستمر القتال وفي اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد وكبسوا على الفرنج واحرقوا الدبابات وصدقوا اللقاء ودام القتال الى العصر ونزل من الله تعالى النصر واستمر بالاعداء القتل ورجع المسلمون الى البلد لاجل الصلاة ثم كبروا عند الغروب وهاجوا الفرنج في خيامهم فتسلموها بما حوت وقتلوا من الرجال مالا يوصف ونزل المسلمون البحر فغرقوا بعض المراكب وحرقوها وهربت باقي المراكب وصار العدو بين قتيل واسير وغريق واختفى ثلثمائة فارس منهم في رأس تل فاخذوا اسرى وغنم المسلمون غنيمة عظيمة * ثم افتتح السلطان صلاح الدين عدة بلاد من الشام ثم سار مؤيدا منصورا الى بيت المقدس فنزل عليه من غربيه وكان به يومئذ من الفرنج ستون الف مقاتل فقاتلهم المسلمون اشد قتال فطلبوا الامان فامنهم بعد تمنع وأقرهم على أن على الرجل عشرة دنانير وعلى المرأة خمسة وعلى الصغير أو الصغيرة دينارين وان من عجز منهم امهل أربعين يوما فان لم يوف استرق فاجابوا الى ذلك وجمع المال فكان سبعمائة الف دينار فقسمه في الجيش وعجز ثلاثون الفا منهم فاقر عليهم فاستعبدهم وفرقهم وخلص من اسرى المسلمين عشرين الفا واخرج البترك وهو اعظم عندهم رتبة من ملوكهم وكان المسجد الاقصى مشغولا بالخنازير وفي غربيه مساكن فيها امراحيض وكانوا اسدوا المحراب فبادر المسلمون الى تنظيفه وتطهيره وفرشوا فيه البسط الفاخرة وعلقت القناديل وخطب بالناس يوم الجمعة رابع شعبان وصلى صلاح الدين بقبة الصخرة وفرح اذ جعله الله تعالى في هذا الفتح ثانيا العمر رضي الله عنه وحضر المظفر تقي الدين فغسل الصخرة بأحمال من ماء الورد وكنس ساحتها بيده وغسل جدرانها ثم بخرها بالطيب وانقذ الله بيت المقدس من ايدي الاعداء بعد أن ملكوه احدى وتسعين سنة * وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة تجمع الفرنج وأتوا من مدينة صور قاصدين عكا فاجتمعت الرهبان والقسس وجماعة من المشاهير ولبسوا

رجليه وهم البيادة اه

(٣) قوله شونة بفتح الشين وسكون الواو جمعها شواني وهي المراكب المعدة للجهاد كما في القاموس اه

(٤) قوله دبابات جمع دبابة بتشديد الباء الاولى وهي آلة تتخذ من جلود وخشب للحروب يدخل فيها الرجال فتندفع في اصل الحصن المحاصر فينقبون وهم في جوفها وهي تقيهم عما يرمون به من فوقهم سميت بذلك لانها تندفع فتدب وفي حديث ابن عمر كيف تصنعون بالحصون قالوا نتخذ دبابات تدخل فيها الرجال وقوله بكباشها بكسر الكاف هم الابطال الذين يدخلون فيها كما أفاد ذلك كله في القاموس وشرحه وهذا كله كان في الاعصر المتقدمة واما الاعصر المتأخرة فانها تستعمل بدل ذلك المدافع العظيمة كما هو معلوم عند أربابه

السواد واظهروا الحزن على بيت المقدس فاخذهم بترك القدس وصوروا صورة المسيح وصورة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يضرب المسيح وقد جرحه فعظم ذلك على الفرنج وجمعوا حتى تم لهم من الرجال والاموال مالا يحصى فخرجوا برا وبحرا من كل فج عميق فنازلوا عكا واحاطوا بها ولم يبق للمسلمين اليها طريق وجاء السلطان صلاح الدين والمسلمون ووقعت بينهم حروب وفى بعضها حمل تقى الدين ابن اخى السلطان على الفرنج حملة منكرة من الميمنة على من يليه فازاحهم عن مواقفهم ووقف فيها والتصق بعكا ودخل المسلمون البلد وادخل اليهم صلاح الدين ما ارادوا من الرجال والعدد فلما كان العشرون من شعبان المعظم رأى الاعداء على أن يقاتلوا المسلمين قبل أن تأتيهم الامداد وكان أكثر عسكر المسلمين موزعا على البلاد فتعبى الفرنج للقتال والسلطان غير متأهب فانهزم المسلمون وثبت بعضهم ثم تراجع بعضهم وهجم بهم السلطان فقتلوا من الفرنج كثيرا واسروا حتى كان الواحد منهم وهم مائة ألف بقى ولى قتلت ثلاثين قتلت أربعين ولما بلغ ملك الالمان وهم قوم لا يحصون عددا ألوشدة اخذ بيت المقدس قصد بلاد المسلمين فى مائتى ألف وستين الفا فنزل يغتسل فى نهر قريب من انطاكية فغرق فى ماء لا يبلغ وسط الرجل وولى بعده ولده وابادتهم يد القدرة فى الطريق فلم يبق منهم الا نحو الف رجل وفى عودهم الى بلادهم غرقت بهم المراكب ولم ينج منهم احد ولله الحمد واشتد القتال بين من فى عكا من الفرنج مع الامداد التى اتتهم من الجزائر البعيدة حتى ملؤا البر والبحر وبين السلطان وجاءته أيضا الامداد فطحنهم السلطان طحنا فكانت القتلى فى هذه المرة اثنى عشر الفا وخمسمائة وهلك ممن لحق باصحابهم تمام اربعين الفا وفى مرة أخرى قتل منهم ستة آلاف ونيفا ومع هذا فصبرهم صبرهم وعمل الفرنج على عكا برجين من خشب كل برج سبع طبقات باخشاب عاتية ومسامير هائلة يبلغ المسمار نصف قنطار وضباب كذلك وصفحوهما بالحديد وألبسوهما الجلود ثم اللبود المشربة بالخل وجللوهما بشباك من حبال القنب لترد حدة المنجنيق فزحفوا بهما الى السور وهما أعلى منه بثلاث طبقات فيئس المسلمون من عكا فرمى دمشقى البرج بجرارة حتى خلله ثم بقدر نفط فعلا الدخان وعلت النار فى ارجائه وتهافتت الفرنج من الطبقات وانكسرت هممهم ثم عملوا كبشا هائلا فى رأسه قناطير من الحديد ليهدموا به السور فجروه فلما قرب منه ساخ فى الرمل لثقله وعجزوا عن تخليصه واستمر حصار عكا نحو سنتين وحرز من قتل منهم فى تلك المدة فزادوا على مائة ألف ثم لما اشتد الجوع والمرض على من كان فى عكا من المسلمين وملوا من القتال بذلوا للفرنج مبلغا وخرجوا منها بغير علم السلطان صلاح الدين ثم وقع الصلح بين الفرنج والسلطان مع كراهيته لذلك وكان ممن

حضر مجلسه ملك الرملة فقال لصلاح الدين ما عمل أحد مثل ما عملت انا احصينا من خرج الينا فى البحر فكانوا ستمائة الف ما عاد منهم الى بلادهم من كل عشرة واحد وبالجملة فكانت أيام السلطان صلاح الدين اشبه بايام عمر رضى الله عنه كل ذلك كان بهمته وحسن تدبيره مع مساعدة الرجال المصريين المشهورين بقوة العزم الذين فانهم ارباب الفتوة والنجدة واصحاب البأس والشدة وخصوصا فى عصرنا هذا فانهم دأبوا على المهارة والتقدم واكتساب المعارف والتعلم حتى اتقنوا صناعة التنشين واحرزوا فيها اليد الطولى بفكر جلى وحزم مبين وعاقليل يبرعون زيادة فى هذه الاعمال ويحصلون من فروع أحكامها ما لا يخطر ببال فانه يجب كما قال بعض الابطال الافراد المشهورين باصابة الرأى والسداد على من تصدى لمثل ذلك أن يصون سلاحه عن أن يخطئ مضربه أو مرماه كما يصون وجهه وعرضه عن القبائح والسفاه وكفاهم شهادة قوله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض الحديث * وفى سنة احدى وتسعين وخمسمائة كتب الفنش ملك طليطلة الى يعقوب المنصور امير المؤمنين بالمغرب كتابا محشوا بالابهة والعظمة والتوبيخ متضمنا انه يريد حربه وأخذ بلاده منه فلما وصل الى يعقوب مزقه وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون الجواب ماترى لا ما تسمع

ولا كتب الا المشرفية عندنا * ولا رسل الا الخميس العرمرم

ثم جمع الجيوش وسار فنزل على زقاق سبتة وجمع المراكب وعرض جيشه فكانوا مائة الف مرتزقة ومائة الف متطوعة وعدوا فى المراكب ووصلوا الى موضع يقال له الزلاقة وجاء الفنش فى مائتى الف واربعين الفا فالتقوا فانصر الله دينه وغنم المسلمون ما لا يحصى وهرب الفنش فى عدد يسير الى بلده وجمع جموعا أكثر من الاول والتقوا فكسره يعقوب ثانيا وساق خلفه الى بلده وحاصرها حصارا شديدا الى ان كاد يأخذها فخرجت اليه والدة الفنش وبناته وحريمه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد لهن فرق عليهن ومن عليهن بالبلد وعاد فقسم الغنائم كلها

(الباب الثانى والعشرون)

(فى مدح الشجاعة وذم الجبن وبيان حقيقتهما وعلاجهما وذكر بعض شجعان السلف)

الشجاعة هى ثبات القلب على عزمه فيما يتوجه اليه ويراد منه وثباته أصل كل كمال وداعى الظفر بكل افضال وحيازة كل مقام عال ومنشأ هذا الثبات اعتدال

الطبع بسلامة العقل والمزاج من الآفات فان ضعف القلب لقصور فى القوة وتفريط فهو سبب للجبن وان افرط فى القوة وخرج عن الاعتدال فهو سبب للتهور ومجاوزة الحد وكل منهما مذموم فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وقال تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ويلزم الجبان معالجة جبنه بازالة علته وهى اما جهل فيزيله بالتجربة واما ضعف فيزيله بارتكاب المخاوف مرة بعد أخرى وذلك مشاهد كثيرا فيمن يريد الخطابة أو الامامة او الدخول على الملوك فانه فى مبدا الامر يضيق صدره ويتلجلج لسانه وتنقبض نفسه فاذا تعود مرة بعد أخرى زال منه ذلك وقوى جاشه وصار الاقدام له طبيعة والاخلاق الطبيعية قابلة للتغير عند الجمهور وانظر الى فرار البطل الشجاع من القبض على الحية مع جراءة صبى الحاوى على ذلك وما هو الا للتعود وعدمه والمطلوب من الانسان هو التوسط بين الافراط والتفريط وكان بين ذلك قواما والتوسط بينهما هو الشجاعة وقوة العزيمة وذلك سبب للظفر ولذا قيل لعلى رضى الله عنه كيف كنت تصرع الابطال فقال كنت القى الرجل فاقدر انى أقتله ويقدر هو أيضا انى اقتله فاكون أنا ونفسه عونا عليه وقال بعضهم موصيا أشعروا قلوبكم فى الحرب جرأة فانها سبب الظفر ومن قتل لانهزامه اكثر ممن قتل لاقدامه والهزيمة ثغرة من ثغرات الموت وهى مطمعة للعدو ومخذلة للمهزوم

قوله جاشه اى قلبه اهـ

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وبالجملة فثبات القلب سبب لكل خير ومنشأ لبلوغ الآمال والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أحوال الحال الاولى اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان واكتحلت الاحداق بالاحداق يبرز الرجل من الصف ويحمل ويكر ويعلن بندائه يلتمس بروز اكفائه والحال الثانية اذا اقتحم الناس بالناس ولم يدر الشخص من أين ولا كيف يأتى الموت يكون رابط الجاش مطمئن القلب حاضر اللب لم يخامره دهش وحيرة فيتقلب فى شأنه تقلب المالك لنفسه القائم بأمره والحال الثالثة اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب فى وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجى ضعيفهم ويلاطفهم بالقول الحسن ويعينهم على قدر طاقته فمن وقع أقامه ومن تعب حمله ومن سقط عن فرسه كشف عنه حتى ييأس منه العدو وهذا أحمد الانواع (ثم اعلم) ان أشجع الخلق على الاطلاق واقواهم قلبا وأثبتهم جاشا بالاتفاق سيد الامة وكاشف الغمة ومجلى الظلمة ونبى الرحمة (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) حضر المواقف الصعبة المشهورة وفر الابطال من حوله وهو لا يبرح ولا يتأخر ولا يتزحزح

مقبل على الاعداء معلن بنفسه الشريفة وهو يقول صلى الله عليه وسلم

انا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

(قال) على رضى الله عنه كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه (وقال) البراء والله ان أحمى الناس يتقى به وان الشجاع منا الذي يحاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) أبيّ بن خلف حين أتى قومه وقد طعنه صلى الله عليه وسلم طعنة تدأدأ منها وهم يقولون له لا بأس عليك قتلنى محمد ولو كان ما بى بجميع الخلق لقتلهم والله لو بصق على لقتلنى ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة غير هذا الملعون وشجاعته صلى الله عليه وسلم أشهر من ان تذكر وحسبه ثبات قلبه وسكون جأشه وطلاقة لسانه ليلة اسرى به فى الموقف الجليل بين يدى الرب العظيم قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم (ومن) شجعان أمته صلى الله عليه وسلم سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال على رضى الله عنه أشجع الناس أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا وقلنا من يكون مع النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه أحد من الاعداء فوالله ما دنا منه أحد الا أبو بكر شاهرا السيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال نشدتكم بالله أمؤمن آل فرعون خير ام ابو بكر فسكتوا فقال والله لساعة من أبى بكر خير من ملء الارض من مؤمن آل فرعون مؤمن آل فرعون رجل كتم ايمانه وابو بكر رجل أعلن ايمانه ولو لم يكن من شجاعته الا ثبات قلبه وتثبيته المسلمين عند الخطب الاعظم بوفاة سيد الامة صلى الله عليه وسلم اذ زاغت قلوب كثير من الناس و زلزلوا زلزالا شديدا لكفى (ومنهم) سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد صارع جنيا ثلاث مرات فصرعه قال صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب وقال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ أسلم عمر (ومنهم) وهو أشهرهم وان كانوا كلهم شجعانا البطل الهمام والليث الضرغام على بن أبى طالب رضى الله عنه دفع اليه النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وقال صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار يفتح على يديه فاستشرف لها كثير من الصحابة ثم دعا بعلىّ وهو أرمد فتفل فى عينيه فبرئ لوقته واعطاه الراية ففتح الله تعالى عليه وحمل بابها يومئذ حتى صعد المسلمون عليه ثم اجتمع سبعون رجلا فكان جهدهم ان أعادوا الباب كان اذا أمسك بذراع رجل لم يستطع ان يتنفس وكان رضى الله عنه حذرا فى الحرب شديد الروغان اذا حمل يحفظ جميع جوانبه

تدأدأ منها اى ذهب بى الى قومه بسببها

من العدو واذا رجع فهو أشد تحفظا الا يتمكن منه أحد وكانت درعه صدرا بلا ظهر فقيل له ألا تخاف ان تؤتى من قبل ظهرك فقال ان أمكنت عدوى من ظهرى فلا أبقى الله عليه ان أبقى على (ومنهم) طلحة بن عبيد الله كان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد يقول ذاك يوم كله لطلحة فر الناس فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى طلحة يمنع الاعداء عنه بحجفة كانت معه وكان راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان صلى الله عليه وسلم يشرف لينظر القوم فيقول طلحة يا نبى الله بابى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وأصابه من قبل العدو بضع وسبعون ما بين طعنة ورمية وضربة حتى شلت يده وما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد حتى قال لحسان قل فى طلحة فقال

وطلحة يوم الشعب آسى محمدا * على ساعة ضاقت عليه وشقت
يقيه بكفيه الرماح واسلمت * اشاجعه تحت السيوف فشلت
وكان امام الناس الا محمدا * أقام رحى الاسلام حتى استقلت

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه

حمى نبى الهدى بالسيف منصلتا * لما تولى جميع الناس وانكشفوا

فقال له صلى الله عليه وسلم صدقت (ومنهم) الزبير بن العوام قال على لما قتل يوم الجمل وجىء اليه بسيفه ان هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه حسان رضى الله عنه

هو الفارس المشهور والبطل الذى * يصول اذا ما كان يوم محجل
فكم كربة ذب الزبير بكفه * عن المصطفى والله يعطى ويجزل
اذا كشفت عن ساقها الحرب حشها * بابيض سباق الى الموت يرفل

(ومنهم) سعد بن أبى وقاص كان رضى الله عنه فارس الاسلام واول من رمى بسهم فى سبيل الله تعالى دعا له النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سدد رميته وأجب دعوته فكان كذلك وكان رضى الله عنه حارسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيه ولم يجمع صلى الله عليه وسلم أبويه الا له بقوله ارم فداك ابى وامى (ومنهم) ابو عبيدة عامر بن الجراح امين هذه الامة رضى الله عنه ولاه عمر رضى الله عنه الشام وفتح الله على يديه اليرموك والجابية وغيرهما وكان يقال داهيتا قريش ابو بكر وابو عبيدة (ومنهم) اسد الله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم احد أحدا وثلاثين نفسا وقاتل يوم بدر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين وسأل امية بن خلف عبد الرحمن بن عوف من هذا الرجل المعلم بريشة نعامة فى صدره فقال

قوله درعه هى المعروفة بالزرد اه

قوله بضع بكسر فسكون اى زيادة اه

ابن عوف هو حمزة بن عبد المطلب فقال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل (ومنهم) ذو الجناحين جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه وتقدم ذكره فى غزوة مؤتة (ومنهم) البراء بن مالك رضى الله عنه احد الافراد الذين يضرب بهم المثل فى الفروسية والشدة قيل له وهم محاصرون تستتر دللناعلى سرب يخرج الى وسط المدينة فانظر جماعة يدخلون معك فيه فذهب هو ومن تخيرهم وخرج من السرب وقاتلهم فى جوف المدينة حتى قتل وفتح الله على يديه (ومنهم) معاذ بن عمرو بن الجموح كان بطلا جلدا وتقدم له ذكر رضى الله عنه (ومنهم) أبو دجانة الشجاع المشهور رضى الله عنه لما قال صلى الله عليه وسلم يوم أحد من يأخذ هذا السيف بحقه قام فقال وما حقه يارسول الله قال ان تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال انا آخذه بحقه فأعطاه له بعد ان قام اليه رجال ليأخذوه فامسكه عنهم فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار اخرج أبو دجانة عصابة الموت كما كان يقول هو اذا عصب بها وخرج وهو يقول

انا الذى عاهدنى خليلى * ونحن بالسفح لدى النخيل

ان لاأقوم الدهر فى الكيول * أضرب بسيف الله والرسول

فصار لا يلقى أحدا الا قتله (ومنهم) أبو طلحة الانصارى رضى الله عنه كان يجثو على ركبتيه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينثر كنانته ويقول وجهى لوجهك الوقاء ونفسى لنفسك الفداء قال صلى الله عليه وسلم لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل (ومنهم) سيف الله خالد بن الوليد رضى الله عنه كان رأس الشجعان فى الجاهلية والاسلام ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين أسلم يوليه أعنة الخيل فيكون فى مقدمتها وله الآثار المشهورة فى قتال الفرس والروم وغيرهم وأتى بسم وكان قد قيل له احذر الاعاجم لا يسقونك السم فقال ماهذا فقالوا سم فقال بسم الله وشربه فلم يضره ولما حضرته الوفاة قال لقد شهدت مائة زحف وها انا اموت على فراشى فمات وهو ابن ستين ولم يكن فى جسده نحو شبر الا وعليه طابع الشهداء ومناقبه فى الشجاعة كثيرة جدا (ومنهم) سلمة بن الاكوع رضى الله عنه أحد رماة المسلمين وشجعانهم خرج هو ورباح غلام النبى صلى الله عليه وسلم بابل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل الليل اغار عبد الرحمن بن عيينة عليها فاخذها وقتل راعيها فارسل سلمة رباحا يخبره صلى الله عليه وسلم ثم تبع القوم ومعه سيفه ونبله فصار يرميهم ويعقرهم وكلما رجع فارس كمن له فى أصل شجرة ثم رماه واذا سلكوا طريقا ضيقا صعد على الجبل ورماهم حتى استنقذ الابل جميعها منهم وأخذ منهم أكثر من ثلاثين رمحا وأكثر من ثلاثين بردة ألقوها لتخف احمالهم الى غير ذلك من الاعمال التى يذهب بها العجب اقصاه هذا كله وهو فريد

الافاعيـل اى ...يات الشديدة اهـ

الكيول بفتح ...اف وتشديد الياء ...ومة اى مؤخر ...فوف اهـ من ...المواهب

وهم جماعة كثيرون (ومنهم) عكرمة بن أبي جهل كان من شجعان الجاهلية ثم اسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وكان في بعض الغزوات يركب الاسنة حتى جرحت صدره ووجهه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال كنت اجاهد بنفسي عن اللات والعزى وابذلها أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله لا والله ابدا فلم يزدد الا اقداما حتى قتل رضي الله عنه (ومنهم) طلحة بن خويلد الاسدي رضي الله عنه خرج في وقعة القادسية هو وقيس وعمرو فوجدا معهما اعلاج ومضى طلحة حتى دخل في عسكر رستم وبات فيه ينظر فلما ولى الليل قصد أعظم من رآه في العسكر فاذا له فرس ذو قيمة ليس في خيل القوم مثله فاخذه وخرج يعدو واستشعر صاحبه والقوم فخرجوا في طلبه فلحقه فارس فمال عليه طلحة فقتله واخذ فرسه ثم آخر فصنع معه مثله ثم آخر فكر عليه طلحة فدعاه الى الاسر فاستأسر فجاء به الى سعد رضي الله عنه واخبره فقيل للاسير تكلم فقال قد باشرت الحروب وغشيتها وسمعت بالابطال ولقيتها فما رايت ولا سمعت بمثل هذا رجل قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الابطال الى عسكر فيه سبعون الفا فلم يرض ان يخرج حتى سلب فارس الجند وهتك اطناب بيته وطلبناه فادركه الاول وهو فارس الناس يعدل الف فارس فقتله ثم ادركه الثاني وهو نظيره فقتله ثم ادركته انا ولا اظن ان فيهم من يعدلني فرايت الموت فاستأسرت ثم اسلم ذلك الاسير (ومنهم) البطل ابن البطل عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما كان رضي الله عنه يقول لاصحابه انظروا كيف تضربون بسيوفكم وليصن الرجل سيفه كما يصون وجهه فانه قبيح بالرجل ان يخطئ مضرب سيفه وكان سيفه لا يخطئ مضربه واذا نزل في جماعة فرقهم ومزقهم كل ممزق واذا حمل على ناحية هزم من فيها ورمي في وجهه بآجرة في غزوة فجرحته فقال

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على اقدامنا تقطر الدما

ثم وقع على وجهه فنهض للقيام فعجز فبادروا اليه فقتلوه وكان لا ينازع في شجاعة ولا بلاغة ولا عبادة حتى كان يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت اليه (ومنهم) عبد الله بن حنظلة رضي الله عنهما انهزم أصحابه في غزوة كان فيها وهو متساند لابنه فنبهه ابنه فلما رأى ذلك أمر اكبر بنيه فقاتل حتى قتل وهكذا بقية بنيه وكانوا ثمانية قدمهم تقربا الى الله تعالى واحدا واحدا ثم كسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل قال عبد الله بن أبي سفيان رأيت عبد الله بن حنظلة في النوم بعد مقتله في أحسن صورة فقلت أما قتلت قال بلى ولقيت ربي فادخلني الجنة فأنا اسرح في ثمارها حيث شئت فقلت أصحابك ما صنع بهم قال هم معي حول لوائي ولوائي لم يحل عقده حتى الساعة (ومنهم) حكيم بن جبلة العبدي كان شجاعا مطاعا قاتل يوم الجمل حتى قطعت رجله

قوله بآجرة أي قطعة من حجر الجير اه

فاخذها وضرب بها الذى قطعها فقتله بها وبقى يقاتل على رجل واحدة وهو يقول

يا ساق لن تراعى * ان معى ذراعى * احمى به كراعى

فخرج منه دم كثير فجلس متكئا على المقتول الذى قطع ساقه فمر به فارس فسأله من قطع رجلك قال وسادتى (ومنهم) ابن الجزرى رحمه الله كان فى عهد الرشيد مشهورا بالشجاعة والنجدة وملاقاة الابطال خرج الرشيد فى مائة وخمسة وثلاثين الفا غير المتطوعة والاتباع يريد القسطنطينية فحاصرها شديدا حتى قرب على أخذها فصالحه ملكها يعفور بن استبراق على اداء الجزية عن نفسه وأولاده وجميع من فى بلاده و بذل ما غرمه منذ خرج من بغداد الى ان وصل اليه وهدية ترضيه واطلاق كل أسير فى بلاده فاجابه الرشيد حقنا لدماء المسلمين فعجل بالجزية خمسين ألف دينار وترك الرشيد عنده من يقبض بقية المال و يأخذ الاسرى والهدية ورحل الرشيد فنزل على الرقة ومرض بها ولما بلغ يعفور مرضه غدر ومنع تلك الاموال وغيرها ولم يخبروا الرشيد لمرضه فلما أفاق عرض له بعض الشعراء فى ابيات بغدر يعفور فسأل الرشيد عن حقيقة الامر فأخبر به فكر راجعا ونزل على هرقلة وقال لا ادع معقلا حتى أفتحه فقال أبو اسحق الفزارى يا أمير المؤمنين هذا حصن منيع يحتاج فى فتحه الى جهد شديد و بعد فتحه لا نجد فيه ما يقوم بعسا كرنا وان لم نفتحه كان نقصا فى الملك ووهنا فى الدين ووصمة للمسلمين والرأى ان تنزل على مدينة عظيمة يجد المسلمون فيها ما يكفيهم و يستعينون به على أخذ القسطنطينية وغيرها فقال ابن مخلد هذا حصن عظيم ليس لهم مثله فتى فتحناه ذلوا وان تجاوزناه حصل غير ذلك فأمر الرشيد بنصب المجانيق ورتب الحرب ونفذ السرايا فى الجهات فلما طالت اقامتهم عليها ضاق صدر الرشيد فشكا ذلك الى أصحابه فقال الفزارى هذا الذى كنت أخاف منه وفضحت أمير المؤمنين ولم يبق غير الجد وما الى الرحيل سبيل ولو متنا عن آخرنا وانا مشير بامر فان قبلته رجوت الفتح والنصر فقال له قل فلسنا نخالفك أولا وآخرا فقال يا أمير المؤمنين تأمر بقطع الاشجار ونقل الاحجار وتنادى فى العسكر ان أمير المؤمنين عزم على الاقامة فليبن كل منكم مسكنا يسكنه وشرعوا فى البناء واشتد القتال فلما كان وقت القيلولة خفت ونام الرشيد فخرج من الحصن رجل من أتم الرجال فى اكمل السلاح على أجود الخيل ونادى يا معشر العرب ليخرج الى منكم عشرون فارسا مبارزة فلم يجيبوه لنوم الرشيد وجال الرومى بين الصفين وهو ينادى بذلك فضج المسلمون وعاد الرومى الى حصنه مسرورا وضج أصحابه من الفرح فلما استيقظ الرشيد أخبروه فتوجع وقلق وقال هلا ايقظتمونى ولم لم يخرج اليه أحد فقال بعضهم ان غرته ستحمله على الخروج غدا فلم ينم الرشيد ليلته فلما اصبح خرج الرومى وعاد لمقالته فقال

الرشيد ليخرج اليه عشرون فارسا فقال ابن مخلد والله يا أمير المؤمنين لا يخرج اليه غير واحد فان ظفر به فلله الحمد وان قتل فهو شهيد ولا تسمع الناس ان فارسا وما خرج اليه عشرون من فرسان المسلمين فقال الرشيد صدقت فقال ابن الجزرى أنا اخرج اليه وأستعين بالله عليه فامر له الرشيد بفرس وسلاح فقال لا أريد شيأ فدعا له الرشيد وودعه وانحدر اليه ومعه عشرون فارسا ليودعوه فلما صار في بطن الوادى قال الرومى غدرتم أنا طالب عشرين فزدتم واحدا فقالوا ما يبارزك غير واحد ونحن مودعوه فقال الرومى سألتك بالله انت ابن الجزرى قال نعم فقال كفو كريم فرجع العشرون وتطاعنا حتى تعبا واشتد الحر والفريقان ينظرون اليهما فولى ابن الجزرى منهزما ففضح الاعداء من الفرح والرومى فى اثره فعطف عليه ابن الجزرى فاختطفه من سرجه وما أوصله الى الارض حتى قطع رأسه فكبر المسلمون تكبيرة واحدة كادت تندك منها الجبال وانكسر الاعداء ووجد المسلمون ففتحوا الحصن ولما رجع ابن الجزرى الى الرشيد أجلسه وامر بصب الاموال عليه حتى يعجز عن القيام وافرغت عليه الحال وعاد الرشيد الى القسطنطينية فذلوا وبذلوا أعظم مما كانوا التزموه (ومنهم) موسى بن نصير رحمه الله قال له سليمان بن عبد الملك ما كنت تفزع اليه عند الحرب قال الصبر والدعاء قال فأى الامم اشد قتالا قال هم اكثر من ان أصف قال فكيف كانت الحرب بينك وبينهم قال اما هذا فوالله ما هزمت لى راية قط ولا تفرق لى جمع ولا نكب المسلمون معى منذ اقتحمت الاربعين الى ان بلغت الثمانين (ومنهم) ابن فتحون المغربى رحمه الله كان اشجع العرب والعجم وكان المستعين بالله يعظمه لذلك ويجرى عليه كل يوم مالا كثيرا وكانت الاعداء باسرها تهاب لقاءه فحسده نظراؤه ووشوا به عند المستعين حتى غيروه عليه ثم غزا المستعين بالله الروم وصف الفريقان فبرز رومى ينادى وسط الميدان هل من مبارز فخرج اليه فارس فقتله الرومى ففرحت الروم وانكسرت نفوس المسلمين ثم ثان ثم ثالث ثم جعل الرومى يقول هل من مبارز اثنان أو ثلاثة من المسلمين لواحد من الفرنج فضج المسلمون وتحيروا ثم قالوا للمستعين ما لها الا ابن فتحون فدعاه وقال له ارأيت صنيع هذا العلج قال نعم قال فما الحيلة قال ابن فتحون ماذا تريد قال ان يكفى المسلمون شره قال فالساعة يكون ان شاء الله تعالى فلبس قميصا واسع الاكمام وركب فرسه بلا سلاح وأخذ سوطا طويلا فى طرفه عقدة وبرز فعجب منه الرومى وحمل كل على الآخر فلم تخطئ طعنة الرومى سرج ابن فتحون فزاغ منها تحت السرج ثم عاد على سرجه وحمل عليه فضربه بسوطه على عنقه واقتلعه من سرجه وأتى به الى المستعين فالقاه بين يديه فخطأ المستعين نفسه فيما كان صنعه معه وعاد الى اكرامه وزاد (ومنهم) أمير المؤمنين

المعتصم رحمه الله كان شجاعا قويا يربط في رجليه ألف رطل من النحاس ويمشي بها خطوات ويركب ويعطف رجله على الفرس بذلك ويغمز الدرهم أو الدينار باصابعه فيمسح كتابته (ومنهم) أحمد بن اسحق السرماني شيخ البخاري رضي الله عنهما خرج صاحبه ابراهيم بن شماس لافتداء الاسرى فخرج معه فلما علم ملك الروم استقبلهما في عدة من جيوشه فاقاما عنده حتى خلصوا من شراء الاسرى فركب الملك يوما وعرض جيشه وهما يشاهدان فبرز عليه رجل من الاعلاج فعظمه الملك وخلع عليه قال ابن شماس فسألني السرماني عنه فقلت هو رجل مبارز يعد بالف فارس لا يولي من ألف فقال السرماني أنا ابارزه فلم ألتفت لقوله فسمع الملك ذلك فقال لي ما يقول فقلت يقول كذا وكذا فقال يا الملك اعلى صاحبك سكران لا يشعر ولكن نركب غدا النرى ذلك فلما جاء الغد ركب المبارز والسرماني ومعه في كمه عمود فتقابلا ودنا المبارز منه فهزم السرماني نفسه حتى أبعده عن الجيش ثم ضربه بالعمود فقتله فلما علم الملك بعث وراءه خمسين فارسا من خيار جيشه فلما رآهم السرماني اختفى منهم تحت تل حتى مروا ثم تبعهم فصار كلما لحق واحدا قتله بعموده ولا يشعر به من امامه حتى لم يبق منهم غير واحد فقطع انفه واذنيه ليخبر الملك بما صنع معهم وكان عمود دمستة وثلاثين رطلا فلما شاخ جعله أربعة وعشرين (ومنهم) القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه له الآثار العظيمة في قتال الفرس وحمل في أيام القادسية ثلاثين حملة قتل في كل حملة واحدا شهد له الصديق رضي الله عنه بان صوته في الجيش خير من ألف رجل وبالجملة فشجعان هذه الامة أكثر من حصى البطحاء وأشهر من الشمس في رابعة النهار ووسط السماء ومن أراد الوقوف على ما يبهر لبه فعليه بكتب السير والتواريخ

(خاتمة حسنى)

أيها المرء الذي توجهت اليه هذه المواعظ البهية والانسان الذي له في الطيبات رغبة وطوية اذا اثر في جلمود قلبك هذا الوعظ وكان لك في رضا الله أوفى نصيب واوفر حظ وتوجهت همتك للجهاد وبعت نفسك بالجنة لرب العباد فاستخر الله تعالى وودع أصحابك واخوانك واستأذن والديك وأد الحقوق لاربابها ان كان لاحد حق عليك وصل قبل توجهك في المكان الذي تريد التوجه منه أو في المسجد ركعتين تكونان خليفة لك في أهلك واستعمل في كل منزل تنزله أو بلد تقدم عليه هاتين وان كنت أميرا في جيش أو سرية فبايعهم على ان لا يفروا وابعث في أعدائك الجواسيس لتأتيك باخبارهم واعقد الرايات لرؤساء الفرق واجعل لكل فرقة شعارا تتميز به

حتى

حتى لا يقتل بعضهم بعضا وادخل أرض العدو بتعبية الحرب فان فيه ارهابا واحتياطا واستنصر بالضعفاء وابتهل عند التلاقي بالدعاء وحرّض الناس على الصبر والثبات وأخر القتال بعد الزوال ان لم يكن فيه فوات ولا يرفع أحد صوته بالتكبير الا عند الحملة من الجميع على سبيل التبشير وليطع كل أميره ولا ينازع أحد أحدا فذلك سبب للضعف والوهن وليكن في الحرب ذا خداع ولقد قال علي رضي الله عنه لعمرو بن ود حين بارزه ما بارزت لاقاتل اثنين فالتفت عمرو فوثب عليه علي فضربه فقال عمرو خدعتني فقال علي الحرب خدعة ونحو هذا ما وقع لامير المؤمنين الهادي كان في بستان له مع خواصه وندمائه وهو راكب حمارا ولا سلاح معهم فدخل عليه الحاجب فقال قبض على فلان الخارجي وها هو بالباب فامر بدخوله فدخل بين حرسيين قابضين عليه فلما دنا من الهادي بعد الى ورائه وأفلت يده وأخذ سيف أحدهما وضرب أحدهما به فسقط وقصد الهادي ففر عنه أصحابه وبقي وحده ولا مكان يحميه ولا فرس تحته ينجيه فلما وصل اليه ورفع يده ليضربه بالسيف صاح الهادي وقال اضرب عنقه فالتفت الخارجي لينظر من وراءه فوثب الهادي وثبة صار بها على صدر الخارجي وأخذ السيف وضربه به ثم قام الى حماره فركبه وعاد اليه أصحابه خائفين فقال لا بأس عليكم ولم يركب بعدها حمارا ولا فارق السلاح ولا في بيت الخلاء وليكن كما قال السرمالي الذي تقدم آنفا في صفة قلب الاسد لا يجبن وفي كبر النمر لا يتواضع وفي شجاعة الدب يقبل بها كلها وفي حملة الخنزير لا يولي دبره وفي اغارة الذئب اذا أيس من وجه اغار من وجه غيره وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أكثر من وزنها وفي الثبات كالصخر وفي الصبر كالحمار وفي الحرص كالكلب لو دخل صيده النار لدخل خلفه وفي التماس الفرصة كالديك وينبغي للامير أن يخفي الجهة التي يريد غزوها لئلا يبلغ أهلها فيستعدوا الا اذا استدعى الحال اظهارها ليتهيأ الناس لها بما يليق بها فلا بأس حينئذ واذا احتاج الامير لارسال رسول الى عدوه فليتخيره من جيشه وليختبره ويختبر فصاحته وامانته واقدامه لان الرسول كالمرآة لمرسله يرى فيه قوته واستعداده وثباته أو ضعفه وجبنه فكم من رسول أزال هيبة مرسله من قلب عدوه بجبنه وقبح منظره ولكنة لسانه فكان سببا لزوال دولته وكم من رسول ادخل في قلب العدو ارهابا ورعبا بقوته وثباته واقدامه وحسن منظره وفصاحته فكان سببا لانهزام العدو وكسره ولا ينبغي ان يرسل الرسول الواحد الى العدو الواحد مرارا متوالية حذرا من أن يكون حصل بينه وبين العدو مواساة والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها فيتولد من ذلك مداهنة ومفاسد عظيمة وكم من دولة كان سبب زوالها خيانة الرسل

نعم ان كان الرسول ممن يوثق به ثقة لا يداخلها شك ولا ريبة فتكرر رسالة اولى لجراءته بتكرر دخوله على المرسل له ولمشاهدته المجالس السابقة معه فيبني الكلام عليها وليكن الامير عالما بالحروب ومكايدها ممارسا للوقائع مجربا نفسه فى خوض المعامع وليكن مع عدوه اسمع من فرس وأبصر من عقاب وأحذر من عقعق صارم القلب شديد الباس فانه منهم بمنزلة القلب من الجسد فساده بفساده وصلاحه بصلاحه وقد قيل أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد وينبغى له ان يكثر فى مجلسه من قراءة الآيات والاحاديث الواردة فى فضائل الجهاد وكتب المغازى ووقائع العرب وأيامها وافعال الشجعان والصبر الشديد والانغماس فى العدو الكثير فان ذلك يقوى القلب الجبان ويزيد فى جراءة الشجعان فان الطبائع مجبولة على التحدى والتشبه بامثالها فاذا انضم الى ذلك مدح الشرع لها وطلبها والوعد بالجزاء الجميل عليها ومحبة الامير لمن فعل شيأ منها وتقريبه وزيادة العناية به صار ذلك طبعا له ضروريا لا ينفك عنه ومن المهم قبل القتال ان يبث الجواسيس الثقات ليتعرف بهم ما عند عدوه من العدد والآلات وما دبروه من المكايد ويبحث عن اسماء رؤسائهم وشجعانهم وعن احوالهم ومنزلتهم عند ملكهم ويبعث سرا اليهم ويخدعهم بما يحبونه ان امكنه ذلك ليغدروا باملكهم او يعتزلوه ويخذلوه وقت الحرب وينشئ على ألسنة كبارهم وبطارقتهم كتبا مزورة اليه ويظهرها فى عسكره لتقوى بها قلوبهم ولتكون سببا فى الفتنة والشر بينهم وبين ملكهم اذا بلغه ذلك فانه لا بد حينئذ من رجف قلبه وان ظنها كذبا ويكتب على السهام اخبارا مزورة تطابق ما وصل اليه من الجواسيس ويرمى بها فى جيش العدو ولا يبخل بما يصرفه على ذلك فانه ان كانت النصرة له فلا يضره ما صرف عليها وان كانت لعدوه فلا ينفعه ما خلف وصرف الاموال فى المكايد والحيل اولى من صرف الارواح والاجل ومن المهم أيضا وهو من المكايد الكمناء فانهم وان كانوا عددا يسيرا اذا رآهم العدو أثروا فى قلبه رعبا وفى اعضائه ضعفا وفى عقله جودا وفى أقدامه وقفة فان المرء لا يقبل الى الامام الا ان أمن من خلفه وليرحل بعسكره كجسر واحد وينزل بهم كبنيان مرصوص واذا اصطف للقتال فليجتهد ان تكون الشمس فى عين العدو والريح فى وجهه فان سبقه العدو اليه ولم يمكن ازالته فليزحف بجيشه عرضا ليكون له وعليه وليرعب قلب عدوه بنشر الرايات ودق الطبول والكاسات ونفير البوقات وليدبر ترتيب عسكره فيجعل الابطال والشجعان فى القلب فانه ان انكسر الجناحان فالعيون الى القلب ناظرة فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا لمن فر من الجناحين واذا انكسر القلب تمزق الجناحان كالطير ان قطع رأسه لا يعيش بجناحيه

وان

وان قطع جناحاه عاش برأسه وكم من ظفر كان سببه ثبات القلب ورجوع من فر من الجناحين اليه وقل عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع نعم ان كان جعل الابطال فى الجناحين مكيدة من الامير يتوصل بها الى اطباقهم على العدو حين يتوسط الجيش ويشتغل بنهبه فلا بأس به وينبغى للامير ان ينتخب من عسكره عصبة يثق بشجاعتهم ليمدبهم أى جهة من جهات عسكره هجم عليها العدو وليقدم المشاة بالدرق والرماح والبصطفوا صفوفا وبركزوا ارماحهم فى الارض خلف ظهورهم وصدورها متوجهة الى العدو ويجلسوا جاثين على الركب بحيث يضع كل منهم ركبته اليسرى فى الارض وترسه قائم بين يديه ومن ورائهم صف الرماة المنتخبين ومن وراء الرماة الفرسان فاذا هجم العدو فليثبت المشاة على هيآتهم ولا يقفوا على اقدامهم فاذا قرب العدو وقذفته الرماة بالمقذوفات التى معهم وقابلته المشاة بصدور الرماح وخرجت خيول المسلمين من بين الرماة والمشاة فيناولون منهم نيلا عن اليمين والشمال وهذا الترتيب كان جاريا فى الازمان السالفة فان احتاج الحال اليه فى هذه الاعصر جرى العمل عليه والا اجرى أمير الجيش مايراه هو ورؤساء جيشه من الترتيبات الجديدة مناسبا للحالة التى هم عليها ولينظر الى أبطال الاعداء فيرتب لهم من أبطاله أكفاءهم وليحمل على الجهات المستضعفة من عدوه أولا ويبادرها بالصدمة وليجتهد على الثبات عند الصدمة الاولى ان صدمه عدوه وينبغى للامير أن يخفى مكانه بحيث لا يعرفه العدو فيجعل له فى كل صف علامة وموقفا له ولخواصه ويتحول مع خواصه وقت الحرب من مكان الى آخر ليسلم من مثل ما صنع البارسلان مع طاغية الروم وينبغى له اذا أراد أخذ بلدة ان يأخذ ما حولها من القرى والبلاد ان لم يمنعه مانع فقد حكى ان ملك الروم لما أراد أخذ صقلية أمر ببساط ان يفرش وجعل فى وسطه دينارا ثم قال لوجوه مملكته من أخذ منكم هذا الدينار بدون ان يطأ البساط كان صالحا للملك فعجزوا ثم طوى ناحية منه فدوا ايديهم فاخذوه فقال لهم اذا اردتم صقلية فخذوا ما حولها من الحصون والمدن ثم خذوها * (تتمة) * من وصايا بعضهم يابنى لا تنشب فى الحرب حتى تعرف وجه المهرب وكن بحيلتك اوثق منك بقوتك وبحذرك اوثق منك بشجاعتك ولا تغتر بضعف عدوك فمن اغتر بذلك ظفر به عدوه الزم الطاعة فانها حصن المحارب وتذكر الضغائن فانها تحملك على الاقدام رب مكيدة ابلغ من نجدة رب كلمة هزمت جيشا اجعل قتال عدوك آخر حيلك لا ظفر مع بغى لا تجبن عند اللقاء ولا تغل عند القدرة ولا تسرف عند الظهور النصر قرين التدبير نزه الجهاد عن عرض الدنيا الحقير اطلب به من الله الشهادة تحظى فى الآخرة بالحسنى وزيادة والله أعلم بالصواب واليه المرجع

(قوله لا تنشب) أى لا تدخل اهـ

والمآب بحمد الله تم اختصار وتهذيب مشارع الاشواق فى فضائل الجهاد على يد الفقير اليه تعالى محمود العالم فى ٢٨ صفر من شهور تسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أوفر الصلاة وأوفى التحية وعلى آله وصحبه الاعلام ونسأل الله بهم حسن الختام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقى ابراهيم عبد الغفار الدسوقى تم بعون الملك القدير الخلاق طبع فكاهة الاذواق وقد سرحت جواد فكرى فى رياض هذا المختصر الخبرى فرأيته حديقة باسمة الزهر يانعة الثمر قد سطعت مشارق الانوار من مشكاة مبانيه ونفح ربيع الابرار من نشر ازهار معانيه أوضح بمصباح مباهج أساليبه وصحاح مناهج تراكيبه نفائس اسرار فضائل الجهاد فى مرضاة رب العباد يوم التناد باقتحام الاخطار المحرزة فى الدنيا منازل الافتخار وفى الآخرة رضا العزيز الغفار كيف لا وهو للعالم الالمعى والبليغ الاريب اللوذعى الشهير عند الاصاغر والاعاظم الهمام الفاضل الشيخ محمود العالم وكان طبعه بالمطبعة السنية الكبرى المؤمل عمالها الغفران فى الاخرى المتوفرة دواعى مجدها المشرقة كواكب سعدها فى ظل من سلك برعاياه احسن سلوك واعترف له بجميل السيرة سائر الملوك رائع الليوث فى آجامها ومخجل الغيوث عند انسجامها خديوى مصر ذى المآثر الشهيرة والقدر العلى أفندينا اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على متع الله الوجود بوجوده ولا زال منهلا على رعاياه سحائب كرمه وجوده ولا فتئت مصر مؤيدة العزائم مشيدة الدعائم برعاية انجاله الكرام واشباله الانجاب الفخام لاسيما الوزير الشهير النبيل الاصيل ذا المعارف المشهورة والعوارف المشكورة من هو باحاسن الثناء حقيق سعادة محمد باشا توفيق ثم رب الكمال ثانى الانجال رئيس ديوان المعارف والاوقاف وعموم الاشغال مالك زمام المزايا والفضائل دولتلو حسين باشا كامل ثم ثالث الانجال المعدود من فحول الرجال من انتعش به البهاء انتعاشا دولتلو حسن باشا لازالت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالى منيرة ببدور حلاهم وكان طبعه مشمولا بادارة من نادته المعالى بلبيك سعادة حسين حسنى بيك ووكالة من على اخلاقه تثنى حضرة محمد افندى حسنى وملاحظة من هو فى ملاحظته مستند حضرة ابى العينين افندى احمد وقد وافق تمامه اوائل اولى الجاديين من سنة تسعين وألف ومائتين من هجرة سيد الكونين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وكل منتسب اليه ماذر شارق ولمع بارق